



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية لشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة  
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية  
قسم التاريخ

# الأفق الذهني لجمع الغرب الإسلامي بين عقيدة الإثبات والتفويض وعقيدة التأويل والتنزيه

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر  
تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

إعداد الطالبة:  
سعيدة سلماني

أمام لجنة المناقشة:			
الاسم	الدرجة	الجامعة	الصفة
د. محمد الصديق محمودي	أستاذ محاضر	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	رئيسا
د. لخضر بولطيف	أستاذ محاضر	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مشرفا ومقررا
د. مصطفى بن حسين	أستاذ محاضر	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مناقشا

لسنة الجامعية: 1440 - 1441هـ / 2019 - 2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإه . . . داء :

إلى من ربّي وسهر

من علمّ أجيالا، ورفع راية العلم وارتحل

والذي بذكراه اليوم أفتخر

إلى شهيد الجامعة

الظاهر سرايش

رحمه الله

# الشكر والعرفان:

أسمى آيات الحب والثناء والتقدير

إلى من أمضوا حياتهم في سبيل تربيتي وتعليمي  
من نصحوني وشجعوني لأمضي قدما والذي الكريمين..

وأسمى آيات الشكر والعرفان والامتنان

لشيخي ومشرفي الأستاذ لخضر بولطيف

الذي وضع للتميز عنوانا

والذي أدى الأمانة باحترافية منقطعة النظير..

كما الشكر موصول إلى الأساتذة والزملاء

الذين أثروا هذا العمل بما بذلوه من نصائح وتشجيعات.

# المقدمة

إنّ العقيدة السوية والمستقيمة، التي لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك، أصبحت في زمن من الأزمنة دعامة أساسية ثابتة، من دعائم المجتمع المتزن والناجح، إذ تتحدد على ضوئها طبيعة ما يربط العبد بربه من إيمانه به تعالى وبصفاته، وما ذكر من أسمائه وتوحيده عز وجل، والإيمان بكتبه ورسله وقضائه وقدره، وقد مثلت هذه المسلمات الإيمانية موضوعات علم الكلام.

ولمّا كان علم الكلام على صلة ماسة بالجانب العقدي، فنجد أنّ الغرب الإسلامي برمته كان بمعزل عن إثارة كل ما له صلة بهذا الجانب، إذ ظل الأفق الذهني حيالها محافظاً على نزاهة العقيدة، والتي كانت تبدو في غالب الأحيان نسخة عن التعاليم التي جاء بها ورسّخها الأولون، حيث حدث بيئة الغرب الإسلامي حدوداً منعت على ضوئها البحث والاسترسال فيه.

غير أنّ هذه البيئة قد شهدت في وقت من الأوقات هجرة فكرية لمختلف الفرق والمذاهب التي عملت على تطعيم الجانب العقدي والفكري من خلال نشر أفكارها ومذاهبها، والتي لم تدخر جهداً في التوطيد والتمكين للفكر الكلامي بالغرب الإسلامي.

## 1 - أهمية الموضوع وإشكالياته:

ومن خلال متغيرات عنواننا الموسوم "بالأفق الذهني لمجتمع الغرب الإسلامي بين عقيدة الإثبات والتفويض وبين عقيدة التأويل والتنزيه"، تتحدد أهمية هذا الموضوع الذي اهتم بدراسة وتحليل الجانب العقدي والفكري لهذا المجتمع، والذي يساعدنا على التعرف على مختلف المذاهب والأفكار التي شهد حضورها الغرب الإسلامي، خاصة وأنّ الدراسات الفكرية والعقدية كانت ولا زالت الدراسات التاريخية تعمل على إثرائها، ولمّا

كانت طبيعة الموضوع تنتمي لصنف من أصناف التواريخ البطيئة والتي تيسر لنا تتبع واستقصاء واستطلاع أهم المراحل التي مرّ بها علم الكلام في محطات متعاقبة.

وعلى هذا كله تتحدد إشكالية بحثنا التي تنكشف على ضوءها مختلف الخلفيات وعديد الإجراءات وشتى مواقف من علم الكلام والتي تظل مرتبطة بتتبع الأفق الذهني لأفراد مجتمع الغرب الإسلامي والتي تعكس لنا مدى العزوف والتحفّظ أو التجاوب والقبول لهؤلاء الأفراد لعلم الكلام سواء خاصة كانوا أو عواما.

ولم يكن اختيارنا لموضوع "الأفق الذهني" بمنأى عن مجموعة من الدوافع والأسباب موضوعية كانت أو ذاتية:

تتمثل الأسباب الموضوعية في قلة إقبال الباحثين على طرق مثل هذه المواضيع نظرا لما شكلته المدونتان العقديّة والكلامية كمحورين أساسيين للبحث، لصعوبة اصطلاحاتها التي تتطلب نفسا ومراسا طويلين، والتي في غالب الأحيان امتزجت بالفلسفة في أوقات متأخرة.

أمّا الدوافع الذاتية:

فتتمثل في رغبتنا وشغفنا العلمي في التعرف على مجريات ومقتضيات هذا الموضوع لما كانت عليه أحداثه رهينة تفاعل مؤثرات وعوامل متداخلة التي تستحق الدراسة والتفتيت، كما ولا يخفى محاولتنا في طرق مواضيع وتسليط الضوء على حقول جديدة، للخروج من نمطية تناول الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي، هاته المحاولة التي لم تكن خارج ميولاتنا الذاتية إلى هذا النوع من الدراسات.

## 2 - المنهج والرؤية:

للإجابة على الإشكالية المطروحة اقتضت هذه الأخيرة استخدام المنهج التاريخي بالدرجة الأولى، والذي ساعدنا في التعامل مع مختلف النصوص التي احتوتها المصادر

التي توزعت بين شتى أنواع المصادر المعلوماتية، وقد ساعدتنا في ذلك مجموعة من الآليات:

1-آلية الإستقراء: والتي ساعدتنا في جمع مجموعة من النصوص التي ساعدتنا في بناء الموضوع.

2-آلية الوصف: والتي من خلالها أمكننا وصف الحالة والبيئة العقديّة قبل وبعد دخول علم الكلام.

3-آلية المقارنة: والتي استدعتها الضرورة في المبحث الثاني والتي ساعدتنا في حصر مختلف أوجه الاختلاف كانت أو أوجه الشبه في موضوع الصفات الإلهية بين توجّهين عقديين سلفي وأشعري، لتوضيح مقتضيات ومبادئ كل جانب في هذا الموضوع.

### 3 - هيكل الموضوع:

استدعت المادة الخبرية للبحث تقسيمها إلى ثلاثة فصول:

حيث اختص الفصل الأول بالحديث عن المواقف من علم الكلام والذي حصرنا من خلاله المرحلة الانتقالية من الذم إلى الاستحسان مروراً بالمحطة المفصلية التي توضح وتكشف عن هذه الانتقالية وتحوير الأفق الذهني.

أما الفصل الثاني فقد تطرقنا من خلال مباحثه إلى مسألة من المسائل التي تعد جوهر ما تم النقاش فيه، موضوع الصفات الإلهية حيث تم من خلال هذا الفصل توضيح منطق الصفات بين منظورين سلفي إثباتي، وأشعري تأويلي.

بينما وقفنا في الفصل الثالث على معالجة أفعال الإنسان وقد تم تقسيمه إلى مبحثين، واللذين أمكننا من خلالهما حصر مختلف المقالات في هذه المسألة، وإبراز مكانة العبد في أفعاله، هذه المكانة التي نوضحها من قبيل الجانب السلفي وآخر كسبي أشعري.



#### 4 - الدراسة النقدية:

لا يخفى عن كل ذي عقل بأن البحث يُبنى على مجموعة من النصوص مصدرية كانت أو مرجعية، وإن كانت المصادر لها من الأهمية بدون منازع والتي تفوق أي نوع آخر، وقد اشتملت هذه المصادر على مادة لا يستهان بها والتي لم تتحصر في نوع واحد وإنما كانت متباينة لتساهم في تشكيل وبناء نصّب متكامل.

ونظرا لما احتلته هذه المصادر من أهمية سنحاول على سبيل الحصر والتصنيف تبيان ما انطوت عليه من إفادات التي ساعدتنا إلى حد كّلٍ على حسب درجته في بناء الموضوع والتأسيس لحلول وإجابات للإشكاليات المطروحة:

#### أولا - المصادر الأصلية والتبعية:

##### 1- كتب العقيدة والكلام:

وقد شكل هذا النوع من المصادر ركيزة البحث نظرا لما أمدّتنا به من معلومات والتي شكلت على معظمها مختلف مسارات البحث، وهذا ما يوحى بأهمية هذا الصنف من المصادر ومن أهم ما اعتمدنا عليه:

المدونة العقيدة لأبي زيد القيرواني من خلال: كتابه الرسالة، المدونة والمختلطة، كتابه الجامع، فقد نقل من خلالها تعاليم السلف وتوصيات المالكية، بالإضافة لما احتوت عليه من معلومات هامة ذات الصلة بعقيدة المؤمن في مختلف مجالات الحياة والتي تعتبر بحق ذخيرة ومن أنسب الكتب. وإلى جانب ذلك نجد المدونة الكلامية التي هي الأخرى فرضت لنفسها مكانا ضمن مقتضيات البحث نظرا لمحورية القضايا التي نعالجها في بحثنا هذا، هذه المدونة الكلامية التي امتزجت بين المشرقي والمغربي نظرا لصلة موضوعنا الماسة بها.

ومن أهم تلك المصنفات مؤلفات الأشعري منها كتابه مقالات الإسلاميين هذا الكتاب الذي لا يمكن أن ينكر عالما عاقلا أهميته، إذ لا يمكن لأي بحث له صلة بالكلام أن لا يدركه نظرا لموضوعية مؤلفه الذي حصر فيه مختلف الفرق ومقالاتهم ومناقشها والتي كانت على صلة ماسة ببحثنا هذا، ومنها لدينا مؤلفات الباقلاني، والجويني.

كما قد عكست لنا المدونة الكلامية المغربية أهميتها، ومن المؤلفات التي لا تقل شأنًا عن غيرها هي كتابات السلاجي الذي بميولاته الأشعرية استطاع أن يصنف لنا برهانيته والتي لأهميتها نالت شروحا عدّة، كما ولم تقل مؤلفات ابن العربي عن تلك بشيء إذ عدت من أنفس ما ألف في الكلاميات ومنها: كتابه المتوسط، الأمد الأقصى، اللذان سار فيهما على مسارات شيوخه، إذ جمع ما استفاده من خبرة وتأثيرات شيوخه في بوتقة هذه الكتب.

## 2- كتب الحديث والتفسير:

نظرا لما احتوى عليه البحث من عدد كبير من الآيات والأحاديث والتي فرضتها طبيعة الموضوع، إذ احتفظ هذا النوع بمجموعة من المأثورات عن الرسول ﷺ والصحابة، ولعل من أشهر الكتب: الصحيحين لمسلم والبخاري وغيرها من كتب الحديث، كما ولم تكن كتب التفسير بمنأى عن هذه المكانة ومن أهمها مؤلف "جامع أحكام القرآن" للقرطبي هاته الموسوعة التفسيرية التي فسرت لنا الآيات القرآنية التي حوتها كتب القرآن.

## 3- كتب الفرق:

من أهم ما اعتمدنا عليه هذا النوع من الكتب -كتب الفرق- التي لها من الأهمية، ومنها كتابات الشهرستاني الملل والنحل، والبغدادي في مصنفه الفرق بين الفرق.

## 4- كتب الفقه والنوازل:

ومما كانت تزخر به كتب النوازل من مادة تاريخية وفقهية في غاية الأهمية على حد قول أنور الزناتي الذي اعتبر الكتب النوازلية تعد سجلا حافلا لجوانب كثيرة من حياة الأفراد وتعمل على كشف العديد من القضايا الفكرية والاجتماعية.

وهذا ما جعلها مهمة تستشف منها مختلف الحقائق ومن النوازل التي اعتمدنا عليها والفتاوى هي مؤلفات قاضي قرطبة المشهور ابن رشد: في كتابيه فتاوى ابن رشد ومسائله، والتي تتم على على اهتمام علماء الغرب الإسلامي بمقتضيات مجتمعاتهم، ومنها أيضا نوازل ابن الحاج، والبرزلي.

## 5- كتب الحوليات:

كما ولا يخلو أي بحث تاريخي من كتب الحوليات بشتى أنواعها، تلك التي حملت في جعبتها أحداثا مغربية خالصة، والتي استطعنا من خلال مضانها الوصول إلى عديد الحقائق، من خلال ما أمدتنا به من أخبار، والتي عكست لنا مجريات وأحداث البيئة المغربية في العهد المرابطي.

ولا يخفى أن الرواية التاريخية لا تخلو أحيانا من ذاتية التي يطبعها أحيانا الانحياز إلى طرف دون الآخر، ولعل من تلك المصادر التي تعاملنا معها بمنظور حذر هي كتابات المراكشي في مصنفه "المعجب" الذي بدا ميله واضحا إلى الموحدين الذي عايش عصرهم، مما يفسر لنا محاولاته تقزيم كل ما كان في العهد المرابطي من مجالات وميادين فكرية وغيرها، ومنها أيضا: نظم الجمان لابن القطان المراكشي الذي هو الآخر من المقربين لسلطين الموحدين.

وفي مقابل ذلك اعتمدنا على من كانت موضوعيته واضحة في كتاباتهم ومنها: ابن أبي زرع في مؤلفه روض القرطاس حيث يذكر أنه قد جمع في كتابه وتحدث عن عديد

الدول غير أنه لم يفصح عن تمييز دولة بعينها على الأخرى أو طعن في واحدة وأنقص من شأنها.

ومنها أيضا تلك المؤلفات التي كتبها ابن خلدون ومنها: المقدمة، والعبر، تاريخ الدولتين للزركشي، الحلل الموشية لمؤلف مجهول، والتي استدعت طبيعة الموضوع حضورها.

### 6- كتب التراجم:

لم تكن كتب التراجم مجرد تقديم محطات لحيات شخصيات من خلال إيضاح سيرهم ومجريات حياتهم، فقد كانت هذه المصنفات قد احتوت بين تلك العبارات على تحديد المعلومات التي لم تشهد مصنفات أخرى حضورها، والتي ساعدتنا في كشف اللبس في العديد من القضايا ذات الصلة بموضوع البحث.

ومن أهم هذه المصنفات كتابات القاضي عياض في كتابيه ترتيب المدارك والغنية فهذه المصنفات حاول من خلالها القاضي عياض جمع عديد الشخصيات وتسليط الضوء على زوايا مظلمة وبنارتها زودت تركيبة البحث بمعلومات هامة.

كما ولم يقتصر الأمر على التراجم المغربية فقد حظيت التراجم الأندلسية أيضا بأهمية هذا العمل منها: منها بغية الملتمس للضبّي، ولم نقل أهمية كتب الصلّات في تقديم المعلومات حول عديد الشخصيات، وأيضا تطريز الديباج للتبكتي الذي يعد استدراكا للديباج المذهب لابن فرحون الذي يكتسي مصداقية في تعامله مع عديد الأعلام، ولعل من أهمها أيضا الموسوعة التاريخية الأندلسية الموسومة بنفح الطيب والتي اعتمد فيها صاحبها على أنفس المصادر التاريخية.

ومما أدرجناه أيضا في هذا العمل نوع من الكتابة والتي على الرغم من امتزاجها بالكرامة والأسطورة في بعض الأحيان، إلا أنّها قد زودتنا بأحداث بالغة الأهمية، ألا وهي

الكتابة المنقبية، ومن مصنفاتها: التشوف للتادلي، هذا المصنف الذي بالإضافة إلى التراجم احتوى على مادة تخص الجانب الفكري.

### 7- كتب البلدان:

التاريخ والجغرافيا ثنائية متكاملة، إذ قد احتوت هذه المصادر على معلومات نوعية وفريدة باعتبار هؤلاء الرحالة الجغرافيين قد نقلوا لنا تلك الأخبار عن تلك الأصقاع -على الغالب- بمشاهداتهم العينية، ما يوحي بأهمية حضور هذا النوع من المصنفات، ومن المصادر الجغرافية التي عكست لنا هذه الأهمية هو: الوزان في كتابه وصف إفريقيا.

### 8- كتب الأدب:

ومما يلاحظ من وجود وحدة موضوعية بين الأدب والتاريخ حيث كانت كتب الأدب مجاميع نثرية كانت أم شعرية تزخر بكم هائل من المعلومات التي مرآة عاكسة لحياة فكرية وثقافية لبيئة الغرب الإسلامي، ومن المصادر الأدبية التي أدرجناها ضمن فصول البحث: هي كتابان: الزجالي في كتابه أمثال العوام، نكت الكلام للكلاعي.

### ثانيا: المصادر المغربية والمشرقية:

ونظرا لما حوته المدونة المشرقية على الأحداث التي تعلق بالغرب الإسلامي، الأمر الذي عزز حضور الرواية المشرقية في هذا الموضوع، ومن مصادرنا الهامة كتاب الكامل لابن الأثير الذي عكست رواياته أهمية الكامل، مما يستوجب عدم الاستغناء عليه، ولا تقل كتابات الذهبي في موسوعته "سير أعلام النبلاء" والذي اعتمدنا عليه بشكل أساسي في ثنايا البحث وهو من أضخم كتب التراجم، كما يعد الوفي بالوفيات للصفدي من أضخم الكتب التي ألفت في الإسلام في تراجم الرجال، وغيرها من المصادر التي أنارت زوايا محورية في البحث.

### ثالثا: المصادر المتقدمة والمتأخر:

على الرغم مما احتوى عليه البحث من مصادر متقدمة إلا أن عامل الزمان يأتي في درجة ثانية بعد أهمية المعلومة فعدد المصادر تكون متأخرة عن زمن البحث إلا أنها منطوية على معلومات هامة ومن مصادرنا المتأخرة: الإعلام بمن حل بمراكش (ت 1378هـ)، لأبي العباس للسملالي.

### رابعا: المصادر الموجودة والمفقودة:

إلا أنه وعلى الرغم من وجود أصناف عدة من المصادر والتي لم تقصر في إمدادنا بمعلومات خبرية لا يستهان بها وبأهميتها، إلا أن هناك عديد المصادر ذات الصلة بموضوع البحث في عديد المصادر المفقودة وينطبق كلامنا هذا على المؤلفات ابن أبي زيد القيرواني، والتي تبدر من عناوينها أنها لم كانت موجودة بين مصادرنا لقدمت إضافة حقيقية وثرية لهذا البحث ومما كانت عناوينها نذكرها كالاتي: النهي عن الجدل للقيرواني.

### خامسا - الدراسات الحديثة:

ونظرا لطبيعة الموضوع الذي نستطيع أن نقول عنه أنه مزيج مركب، تتداخل فيه جزئيات وعناصر عدة، إذ أن كل عنصر يمثل عنصرا مستقلا.

وهذا ما كانت الدراسات الحديثة قد سلطت الضوء على جزء من هذه الأجزاء في إطار دراسة العقائد، والتي أثرت في معظم الأحيان جانب العقيدة الأشعرية، إلا أن هذه الدراسات قد نظرت لهذا الموضوع بنظرة عامة وشاملة دون التطرق لأدق التفاصيل العميقة.

إلا أنه كان لها من الأهمية أن تساهم في توضيح الرؤية لنتناول موضوع متداخل، وكان لها من الآراء والاستنتاجات التي أثرت بحق هذا الموضوع وأسست لمناظير مختلفة.

ومن أهم الدراسات التي اعتمدت عليها والتي يشهد لها بقوة الطرح والدراسة نذكر منها:

- يوسف إحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي.
- محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد والمذاهب الفقهية.
- أحمد محمد السالم: نقد الفقهاء لعلم الكلام.

## الفصل الأول:

### الأفق الذهني من إجماع العوام إلى إفشاء الكلام

أولاً: الإنعام بالحجز عن الكلام.

1 - ندم الكلام.

2 - وجوه الإضطرار إلى الخوض في الكلام.

ثانياً: بسط الكلام في الكلام.

1 - استحسان الكلام.

2 - التحفظ من إذاعة الكلام في وسط العوام.



إن المدرسة السنّية عموماً والمغربية على وجه الخصوص كانتا تسيران وفقاً لتعاليم السلف، من حيث تشجيعهما لمدارس العلوم الفقهيّة، غير أنّها كانت لا تخوض في كل ما له علاقة بأمور العقيدة باعتبارها موضوع حساس من شأنه أن يزلزل عقيدة المجتمع، ولذلك نظرت هذه المدرسة نظرة حذر من علم الكلام باعتبار ما يغوص فيه على صلة ماسه بمباحث العقيدة.

إلا أنّ المدرسة السلفية قد ظهرت بالموازاة معها مدرسة كلامية ساهمت في تنشئتهما فرق عقديّة التي تكلمت ونظرت بالفعل وسلطت الضوء على كل ما تمّ حظره، وقد حظيت هذه المباحث بنقاشات ساهم في إثرائها رواد هذه الفرق، والذين كانت أفكارهم ومقدماتهم كثيراً ما تتحرف على ما جاء به الكتاب والسنة.

### أولاً - الإنعام بالحجّز عن الكلام:

لم يحظ علم الكلام بعناية من قبل علماء وفقهاء أهل السنة، فقد كان من العلوم المحظورة إن صحّ التعبير، والتي لا يمكن الاشتغال بها والاقتراب منها، فقد ظلّ هذا العلم في دائرة مغلقة، إلاّ أنّه وبحكم المواضيع التي يخوض فيها وهي العقائد الإيمانية وباعتبارها جزءاً من عقيدة الإنسان، وما أثير حولها من أقوال، وأقحمت العقل في الأمور العقديّة التي من شأنها أن تخرج بأفكار وأحكام لم يرد بها لا الكتاب ولا السنة، ولعلّ هي من الأسباب التي تستطيع أن ترفع دائرة الحظر على علم الكلام.

### 1 - ذمّ الكلام:

يعرف ابن خلدون علم الكلام بأنّه "علم يتضمّن الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"<sup>1</sup>، إلاّ أنّ علماء السنة وفقهائها قد وقفوا موقفاً صارماً ومتشدداً من علم الكلام، وذلك تأسياً

<sup>1</sup> - أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد السلام الشداوي، بيت العلوم والفنون والآداب، الدار البيضاء، 1425هـ/2005م، ج3، ص23؛ وأبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، المواقف في الكلام، دار سعد الدين، دمشق، 1420هـ/1999م، ص07.

بخيار الصحابة والتابعين من بعدهم الذين اقتصروا على ما جاء به القرآن والسنة والتسليم بما جاءت به.

ومن العلماء الذين ذموا الكلام والمتكلمين أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن مت الأنصاري<sup>1</sup>، الذي ألف كتاب ذم الكلام وأهله والذي نقل لنا فيه مجموعة من الأقوال التي كانت خير دليل على معاداة الكلام والتحذير منه، ومنها ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "وأخوف ما أخاف على هذه الأمة الذين يتأولون القرآن على غير تأويله"<sup>2</sup>.

كما نقل لنا أيضا آراء ومواقف الفقهاء منها موقف الإمام مالك الذي كان يكره الخوض في هذا العلم والإشتغال به فقال: "إن من طلب الدين بالكلام تزندق"<sup>3</sup>، فمن شدة كرهه لهذا العلم فقد ربطه بالزندقة، وكذلك مواقف قرينه الشافعي الذي ربط موقفه من علم الكلام بحادثة صبيغ<sup>4</sup> في عهد عمر بن الخطاب حيث يقول: "إن حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ"<sup>5</sup>.

وتعتبر هذه المواقف جزءا ضئيلا عما صدر من أساطين المعرفة.

<sup>1</sup> - هو أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن مت الأنصاري الهروي، مصنف كتاب ذم الكلام وأهله، ولد سنة 396هـ وتلقى تعليمه على يد مجموعة من الشيوخ منهم: عبد الجبار بن محمد الجراحي، وأبي الفضل بن أحمد الجارودي. أبو العباس شمس الدين بن أحمد الذهبي، سير وأعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط1، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، 1450هـ/1984م، ج18، ص503، 504؛ أبو جعفر محمد بن علي بن أحمد الداودي، طبقات المفسرين، تقديم لجنة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403م، ج1، ص372.

<sup>2</sup> - أخرجه الإمام أبي داود، من كتاب: الأدب، في باب: البدع، تحقيق عبد العزيز عز الدين السيروان، ط1، دار القلم، بيروت، 1406هـ/1986م، ص247، الحديث رقم: 01.

<sup>3</sup> - أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن مت الأنصاري، ذم الكلام وأهله، تحقيق أبو جابر عبد الله بن محمد بن عثمان الأنصاري، مكتبة الغرباء الأثرية للنشر، 1419هـ/1998م، ج4، ص115.

<sup>4</sup> - حيث كان هناك رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر، وقد أعد له عراجين التمر فقال من أنت؟ فقال له أنا عبد الله بن صبيغ فأخذ عرجون من تلك العراجين فضربه حتى دمی رأسه، وفي رواية عنه فضربه بالجريدة حتى ترك ظهره دبره ثم تركه حتى برئ ثم عاد له ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود فقال إن كنت تريد قتلي فقتلني قتلا جميلا فإذن له إلى أرضه وكتب إلى أبو موسى الأشعري إلا يجالسه أحد من المسلمين. أبو الفضل عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد السيوطي، صون المنطق والكلام، تحقيق علي سامي النشار وسعاد علي عبد الرزاق، ط1، منشورات مجمع البحوث الإسلامية 1389هـ/1970م، ج1، ص50.

<sup>5</sup> - الهروي، المصدر السابق، ج4، ص87.

وقد استطاعت هذه المواقف أن تعكس لنا نظرة هؤلاء إلى علم الكلام ونهيمهم عن الجدل والخصومات<sup>1</sup>، فلو اشغلوا بعلم الكلام لوصلتنا أخبار متكلميهم وأسمائهم والقضايا التي تكلموا فيها<sup>2</sup>، ولم يكن ذم العلماء له لأن الماضين لم ينخرطوا فيه وحس بل حتى طرقهم فيها من الحق والباطل حيث كان هؤلاء يقومون بقياس ما توصلوا إليه من حقائق على ما جاء من الأحاديث فما توافق منها أخذوا بها وما لم يتناسب مع أفكارهم تركوها<sup>3</sup>، وهذا ما أشار إليه ابن تيمية في مصنفه درء تعارض العقل والنقل حيث استعرض الأسباب التي دعت سلف هذه الأمة وخلفها ذم علم الكلام إذ يقول: "إن السلف والأئمة لم يذموا الكلام ليس لمجرد ما فيه من الاصطلاحات كالجوهر والعرض والجسم بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه"<sup>4</sup>.

وما من شك فقد انتقلت تلك القيود المفروضة على علم الكلام إلى الغرب الإسلامي حيث كانت الحياة الفكرية في العهد المرابطي تسير وفقا لتعاليم السلف وترفض الخوض في العلوم الكلامية، ولعل ما يجسد ذلك هي تلك الصورة التي نقلها لنا المراكشي صاحب المعجب في قوله: "ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر عليه الخوض في شيء من الكلام"<sup>5</sup>.

إذ حكم فقهاء العصر المرابطي "بتقبيح الكلام وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه"<sup>6</sup>. ولهذا فعندما دخل المهدي بن تومرت إلى مدينه مراكش "في منتصف

<sup>1</sup> - أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط2، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، 1403هـ / 1983م، ج1، ص216.

<sup>2</sup> - السيوطي، المصدر السابق، ج1، ص142.

<sup>3</sup> - نفسه، ص282.

<sup>4</sup> - أبو العباس نقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن قنينة، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، ط2، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1411هـ / 1991م، ج1، ص24.

<sup>5</sup> - أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، نشره صلاح الدين الهواري، ط1، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ / 2006م، ص131.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص130.

ربيع الأول 515ه<sup>1</sup>، فوجد أهلها يعادون كل ما له علاقة بالعلوم العقلية ويحبذون فقط العلوم الفقهية<sup>2</sup>، وهذا ما جعله ينتقد هؤلاء لجمودهم وتمسكهم بما ورد عن السلف السابقين من عدم الخوض في شيء من أمور العقيدة ووجوب التسليم لها وإمرارها كما جاءت<sup>3</sup>. ولما وصلت أنباءه إلى أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين، ومن أنه ينوي "تغيير الدولة"<sup>4</sup>، ونظرا لما كان الفقهاء يتمتعون به من حظوة في المجتمع المرابطي إذ كانت أمور المسلمين "راجعة إليهم"<sup>5</sup>، فاستدعى هؤلاء لمناظرته<sup>6</sup>، إذ جمع هذا المجلس بين الفقهاء من ذوي الفروع<sup>7</sup>، وبين ابن تومرت، ولكن يتبين بجلاء استحالة التفاهم بين عقليتين إحداهما ذات نزعة فروعية مقلدة مثلما فقهاء البلاط المرابطي، من بين نزعة عقلية استفزازية تتحرك بوعي ويقظة<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط2، منشورات المكتبة العتيقة، تونس، 1386 هـ/1966 م، ص5.

<sup>2</sup> - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص130؛ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصاء لدول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب اللبناني، الدار البيضاء، 1373 هـ/1954 م، ج1، ص131.

<sup>3</sup> - أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421 هـ/2000 م، ج6، ص303.

<sup>4</sup> - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1398 هـ/1972 م، ص79.

<sup>5</sup> - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص130.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص139.

<sup>7</sup> - أبو الحسن علي ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور لطباعة والوراقة، الرباط، 1391 هـ/1972 م، ص175.

<sup>8</sup> - المصدر نفسه، ص151.

وبعد انتهاء المناظرة حذر أحد وزراء الأمير وهو مالك بن وهيب<sup>1</sup>، نظرا لما كان يمتلكه المهدي بن تومرت من قوة وقال له "احتفظ على الدولة من الرجل واجعل على رجله كبلا لئلا يسمعك طبلا"<sup>2</sup>، وفي الأخير خرج المهدي بن تومرت إلى مدينة مراكش<sup>3</sup>.

وثمة سوابق لظاهرة منع العلماء من نشر علم الكلام في الوسط المغربي وتدريسه وهو ما حدث مع العالم أبي الفضل النحوي<sup>4</sup>، الذي قدم إلى مدينة سجلماسة ليدرس بها علم الكلام ولكنه لم يتمكن من تدريسه فقد تعرض للطرد من أمير سجلماسة عبد الله بن بسام، بحجة أن أبا الفضل النحوي قد أتى بعلوم جديدة لم يعرفوها من قبل إذ طلب منهم مغادرة مسجد المدينة، وهي الحادثة نفسها التي تعرض لها في مدينة فاس المغربية<sup>5</sup>.

كما أن محاربة علم الكلام لم تقتصر على العلماء فقط بل حتى التضييق على منتوجهم الفكري وهذا ما أشار إليه البرزلي في نوازله "من أن كتب الكلام فيها الضلال والبدع والإلحاد في أسماء الله وصفاته والكفر بتأويل القرآن وتحريفه عن مواضعه فلا يجوز بقاؤها في ديار المسلمين"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - مالك بن وهيب أحد رجال الكمال والارشام بمعرفة العلوم على تقاريعها من مواليد اشبيلية 453هـ، توفي في 525هـ بمراكش. أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن شكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق بشار عواده، ط1، دار المغرب الإسلامي، تونس، 1430هـ/2010م، ج2، ص 261، 262؛ وأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميره الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 1، دار الكتاب المصري، القاهرة دار الكتاب اللبناني، بيروت 1410هـ/1989م، ج2، ص 618.

<sup>2</sup> - الزركشي، المصدر السابق، ص5؛ أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م، ج11، ص96.

<sup>3</sup> - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص175.

<sup>4</sup> - أبو الفضل النحوي توزي الأصل من قلعه بني حماد ولد في 513 هـ من العارفين بأصول الدين والفقهاء توفى بالقلعة 622هـ. أبو العباس أحمد بن أحمد المشتهر بابا التمكني، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1398هـ/1989م، ص 622، 623، 624.

<sup>5</sup> - أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي ابن الزيات، التشوق إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1417هـ/1997م، ص98.

<sup>6</sup> - أبو القاسم ابن أحمد البلوي البرزلي، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام كما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1423هـ/2002م، ج6، ص214.

ومما يمكن استنتاجه هو صرامة الموقف المتشدد من علم الكلام إذ تمت محاربته بوسائل شتى منعا وطرادا من الوسط المغربي في كل مكان.

كما قد أعطت العدو الأندلسية هذا الموقف دفعة قوية حيث وقف علماءها موقفا متشددا من العلوم العقلية والكلامية، ومن أهم علمائها نذكر منهم ابن عبد البر<sup>1</sup>، الذي خصص في كتابه جامع بيان العلم وفضله بابا تحت عنوان ما يكره فيه المناظرة والجدل، وضح فيه نهى السلف عن الخوض في علم الكلام والمجادلة ناقلا إلينا موقف الإمام مالك مما يتوضح من ذلك المحافظة على تعاليم المدرسة المالكية، إذ روي عنه أنه قال: "إن أهل بلدنا يكرهون الجدل والكلام والبحث والنظر إلا فيما نحته عمل، وأما سبيله الإيمان به واعتقاده والتسليم له فلا يرون فيه جدالا ولا مناظرة"<sup>2</sup>.

وباعتبار الجدل يعتمد على قدرات العقل فهذا يؤدي إلى "الانسلاخ من الدين"<sup>3</sup>، لأنه يمكن من خلال ذلك إقحام ما لم يرد بها الكتاب ولا السنة ولهذا فلا بد من ضرورة ووجوب التسليم، "لأن العقل وإن كان ميزانا صحيحا وأحكامه يقينية لا كذب فيها غير أننا لا نطمع أن نزن به أمور التوحيد وحقائق الصفات الإلهية فإن ذلك طمع في المحال"<sup>4</sup>.

وقد أفصح ابن عبد البر عن موقفه من علم الكلام إذ بدا واضحا ذمه لهذا العلم ومما جاء في قوله: "وأجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار من أن أهل الكلام أهل بدع وزيف ولا يعدون عند الجميع في طبقات الفقهاء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه"<sup>5</sup>، كما اعتبر أصحاب الكلام من أهل الأهواء والبدع أشعريا كان أو غير أشعري ولا تقبل لهم

<sup>1</sup> - ابن عبد البر من أهل قرطبة ومن العلماء الذي بلغوا من العلم أعلى درجاته، وقد ألف مجموعة من الكتب منها التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وكتاب آخر بعنوان الاستنكار، ومن كتبه المهمة جامع بيان العلم وفضله، توفي في ربيع الآخر 463هـ. ابن شكوان مصدر سابق، ج2، ص327، 328؛ وصلاح الدين خليل ابن أبيك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد أرناؤوط ومصطفى تركي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ/2000م، ج7، ص370.

<sup>2</sup> - أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وعمله، تحقيق أبو الأشبال الزهري، دار ابن الجوزي، الدمام، 1114هـ/1994م، ج2، ص942.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص931.

<sup>4</sup> - ابن خلدون، المقدمة، ج3، ص26.

<sup>5</sup> - ابن عبد البر، المصدر السابق، ج2، ص942، 943؛ والضبي، المصدر السابق، ج1، ص200.

شهادة

في الإسلام<sup>1</sup>، "ولا يسلم عليهم ولا يجالسهم ولا يعاد مريضهم ولا يحدث عنهم الأحاديث"<sup>2</sup>، ولا تحضر جنازتهم<sup>3</sup>، كما أن كتبهم لا تجوز الإجارة فيها<sup>4</sup>.  
فعلم الكلام هو بحر شاسع لا حدود له كما أن الباحث فيه "لا يخلو منه بطائل ولا يظفر منه بحقيقة"<sup>5</sup>.

## 2 - وجوه الاضطرار إلى الخوض في الكلام:

ما كان لموقف التسليم والتفويض أن يستمر على ما كان عليه من عدم الخوض في كل ما له صلة بأمر العقيدة، وحلقات النقاش والمناظرة تزداد بين الفرق كالخوارج وأهل الإعتزال<sup>6</sup>، الذين كانوا من أصحاب الكلام ومن الأوائل الذين استخدموا الجدل والمناظرة للرد على خصومهم<sup>7</sup>.

ولهذا فلم يعد هناك ما يدعو العلماء من أهل السنة إلى الاستمرار في استتكار الجدل في أمور العقيدة<sup>8</sup>، نظرا لما كان لهذه الفرق من أفكار وتصورات عدت تشويها وانحرافا

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ج2، ص943.

<sup>2</sup> - أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني، الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، تحقيق محمد أبو الأجنان، ط2، مؤسسة الرسالة لنشر والتوزيع، بيروت، 1403هـ/1983م، ص125. واختصار المدونة والمختلطة استيعاب المسائل واختصار اللغة في طلب المعنى وطرح السؤال وإسناد الآثار وكثير من الحجج والتكرار، تحقيق أحمد بن عبد الكريم نجيب، ط1، منشورات مركز نجيبوية للمخطوطات وخدمة التراث، الدار البيضاء، 1434هـ/2013، ج4، ص554.

<sup>3</sup> - البرزلي، المصدر السابق، ج6، ص186.

<sup>4</sup> - ابن عبد البر، المصدر السابق، ج2، ص943.

<sup>5</sup> - ابن خلدون، المقدمة، ج3، ص24.

<sup>6</sup> - يوسف إحنانة، تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ط2، دار أبي الرقراق لطباعة والنشر، الرباط 1427هـ/2007م، ص119.

<sup>7</sup> - أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المطي، التنبيه والرد على الأهواء والبدع، تحقيق زينهم محمد غرب، ط1، منشورات مكتبة مديولي، 1413هـ/1993م، ص29، 30.

<sup>8</sup> - إحنانة، المرجع السابق، ص55.

عن عقيدة أهل السنة<sup>1</sup>، ومن الأوائل الذين ردوا على هؤلاء وعلى ما أثاروه من قضايا، الإمام مالك الذي ألف رسالة في الرد على أهل القدر<sup>2</sup>.

كما كان للشافعي كتابان في علم الكلام "أحدهما في تصحيح النبوة والرد على البراهمة، والثاني في الرد على أهل الأهواء"<sup>3</sup>، والعديد من المناظرات التي أفحم فيها خصومه منها مناظرته الشهيرة بشر المريسي<sup>4</sup>، وعلى الرغم من أن هؤلاء الفقهاء كانوا أشداء على الخوض في علم الكلام إلا أنهم قد اضطروا للرد على تلك الفرق<sup>5</sup>.

وقد جاء من بعدهم أبو الحسن الأشعري الذي صار "شجيا في حلق القدرية"<sup>6</sup>، أو المعتزلة هؤلاء الذين نفوا الصفات الإلهية، وتكلموا في مسألة خلق القرآن ما كان سببا لانتهاضه فتكلم معهم لما مهدوه من هذه البدع<sup>7</sup>، اضطارا منه للدفاع عن العقيدة وحمائتها من كل ما أثير من شبهات، ولعل هذا ما يبدو واضحا من ثنايا كلام ابن عساكر الذي أشار بأن أبا الحسن الأشعري لا يخوض في الكلام إلا ردا منه على هؤلاء إذ يقول: "إننا لا نكلم هؤلاء ابتداء ولكن إذا خاضوا في ذكر ما لا يجوز في دين الله رددنا عليهم بحكم ما فرض الله سبحانه وتعالى من الرد على مخالفي الحق"<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، مجموعة رسائله، نشرها أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ/1988م، ص32.

<sup>2</sup> - أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط2، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1403هـ/1983م، ج1، ص81.

<sup>3</sup> - أبو منصور عبد القادر بن الطاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم، تحقيق محمد بن عثمان الخشة، منشورات مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1409هـ/1988م، ص314.

<sup>4</sup> - للمزيد من الإطلاع حول المناظرة يراجع: السيوطي، المصدر السابق، ج1، ص104؛ وأبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، مناقب الشافعي، تحقيق أحمد صقر، ط1، دار التراث، مصر، 1390هـ/1970م، ص399، 400.

<sup>5</sup> - أحمد محمد سالم، نقد الفقهاء لعلم الكلام بين دراسة العقيدة وحركة التاريخ، ط1، دار رؤيا لنشر والتوزيع، القاهرة، 1428هـ/2008م، ص102، 103.

<sup>6</sup> - البغدادي، المصدر السابق، ص314.

<sup>7</sup> - ابن خلدون، المقدمة، ج3، ص33.

<sup>8</sup> - أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي، تبين كذب المفتري فيما ينسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، نشره القدسي، منشورات مطبعة التوفيق، دمشق، 1928م، ص96.



وعليه فلما كان الدفاع عن الإسلام واجبا شرعيا ومبدأ قرآنيا ومنهجيا نبويا<sup>1</sup>، كان ذلك سببا في تحول موقف ابن عبد البر من الخوض في الكلام إذ يقول: "إلا أن يضطر أحد للكلام فلا سعيه السكوت إذا طمع برد باطل وصرف صاحبه عن مذهبه أو خشي ضلال عامة أو نحو ما"<sup>2</sup>، فيبيح الكلام عندما يصبح الأمر متعلقا بمقاومة الباطل<sup>3</sup>، شريطة لمن تتوفر لديه مؤهلات الدفاع<sup>4</sup>.

فعلم الكلام قد احتيج إليه لما اضطرروا للدفاع ونصرة العقيدة<sup>5</sup>، وبما أن هؤلاء العلماء والفقهاء كانوا على تعاليم السلف الذين أحجموا عن إثارة أي قضايا لها صلة ماسة بالعقيدة احتكاما لما جاء به النقل، وباعتبار علم الكلام يعتمد على العقل فكان لا بد من طرائق للإستدلال للتمكن من مجابهة الخصوم بنفس الأساليب التي كانوا يستخدمونها لنصرة عقائدهم<sup>6</sup>.

ومما يمكن ملاحظته أن هذه الفرق ولما أثارته من نقاشات وقضايا، وما كان لها من القوة أن تسيطر على ذهنية الأفراد وتثير الشكوك في الوازع الديني، فقد أقحمت علماء السنة في علم الكلام لحراسة العقيدة.

## ثانيا - بسط الكلام في الكلام:

إن ما فرض على علم الكلام من قيود وتضييق الحدود على المتكلمين، ودم والتواعدات والتهديدات التي تصدر ضد المروجين للفكر الكلامي في الوسط المغربي

<sup>1</sup> - عبد الغاني عكاك، "علم الكلام وسؤال المشروعية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2017م، ص158.

<sup>2</sup> - ابن عبد البر، المصدر السابق، ج2، ص938.

<sup>3</sup> - عمر بن حمادي، تساؤلات حول الأشاعرة بالغرب الإسلامي في القرن الخامس هجري علاقتهم بالمرابطين وتواجدهم بالأندلس، ضمن أعمال الندوة الدولية الأولى: من أعلام الغرب الإسلامي: أبو الوليد الباجي وأبو الحسن اللخمي، المنعقد بجامعة الزيتونة، بتاريخ 22، 23، أكتوبر 2014م، تنسيق نجم الدين الهنتاتي، منشورات المعهد العالي للحضارة الإسلامية، تونس، 1436هـ/2015م، ص219.

<sup>4</sup> - جمال علال الحقي "الموقف من علم الكلام في المغرب والأندلس خلال القرنين 5 و6 موازنة علمية بين موقفين بن عبد البر الأندلسي وبين حمير السبتي"، مجلة الإبانة، تطوان، ع2-1435/3هـ -2014م، ص28.

<sup>5</sup> - ابن خلدون، المقدمة، ج3، ص33.

<sup>6</sup> - عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت -حياته وآرائه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب-، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1403هـ/1983م، ص33.

بصفة عامة، إلا أن هاته القيود سرعان ما اهترأت وانحلت أمام المنخرطين فيه الذين كان لهم من القوة أن يقلبوا الموازين سالفة الذكر لترجح الكفة إلى استحسانه بعد ذمه والخوض فيه اختياراً، إلا أن هذه الموافقة والصلاحيات التي حظي بها علم الكلام قد استثنى منها ذوي الفهوم والعقل المحدود أو ما يصطلح عليه بعامة المجتمع، في حين أزال اللجام لأهل الفهم والعلم من الخواص للخوض في غماره والدفاع عن العقيدة بما يمتلكونه من أساليب للحجاج والمناظرة.

## 1 - استحسان الكلام:

نظراً للمهمة الدفاعية التي كان علم الكلام يضطلع بها فقد صار علما مهما للرد على شبهات المنحرفين الذين كانوا يتحنون الفرص لضرب عقيدة أهل السنة، فبعد ما كان علم الكلام من العلوم المذمومة ومن العلوم المحدثثة في منظومة العلوم الإسلامية بدعوة عدم خوض السلف فيه إلا أنه قد استحسّن الخوض فيه ولعل من بين هؤلاء أبو الحسن الأشعري الذي ألف رسالة استحسان الخوض في علم الكلام، وهي عبارة عن رسالة قصيرة حاول من خلالها الدفاع عن علم الكلام والخوض فيه.

فاستدل أبو الحسن الأشعري من القرآن الكريم الذي دعانا إلى تعلم الاستدلال والنظر للتدليل على وجود الله عزوجل وصفاته<sup>1</sup>، بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>2</sup>، وقد أشار إلى أنه لو أثرت مسألة من المسائل الكلامية التي كانت فيها النقاشات واحتدم الجدل حولها في عهد الرسول ﷺ لتكلم فيها الصحابة وأوضحوا السبيل فيها<sup>3</sup>، وبالإضافة إلى ما استشهد به من القرآن الكريم من حجج وبراهين.

فاستشهد أيضاً بأبيات شعرية حاول من خلالها بيان أهمية الكلام ومدحه وهذا ما جاء في قوله<sup>4</sup>:

<sup>1</sup> - أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، رسالة استحسان للخوض في علم الكلام، نشره محمد الولي، ط1، دار المشاريع لطباعة والنشر، بيروت، 1415هـ / 1995م، ص5.

<sup>2</sup> - [سورة الأنبياء، الآية 22].

<sup>3</sup> - أبو الحسن الأشعري، المصدر السابق، ص23، 24.

<sup>4</sup> - نفسه، ص32.

عَابَ الْكَلَامَ أَنْاسٌ لَأَ عُقُولَ  
لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ  
مِنْ ضَرِّ رَرٍ  
مَا ضَرَّ شَمْسُ الضُّحَى فِي الْأُفُقِ طَالَعَةً أَنْ لَا يَرَى ضَوْئَهَا مَنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ

وبذلك فقد استطاع أبو الحسن الأشعري أن يمهد للإعتراف بالكلام واستحسانه وأن يزيل تحرج القوم من عدم التعرض للكلام وذلك بسبب عدم خوض السلف فيه<sup>1</sup>، وعليه فقد أنتج المتكلمون من بعد مصنفات في علم الكلام وكان من بينهم: أبو بكر الباقلاني "الذي كان أعرف الناس بعلم الكلام وأحسنهم فيه ظاهرا وأجودهم لسانا وأوضحهم بيانا وأصحهم عبارة"<sup>2</sup>، وكان من المتكلمين على طريقة الأشعري<sup>3</sup>، وقد صنف مجموعة من الكتب الكلامية، ومن أهمها كتاب التمهيد الذي صنف فيه مجموعة من الأبواب والمباحث الكلامية<sup>4</sup>، وقد رد من خلاله على مجموعة من الفرق العقديّة بالحجج والبراهين القاطعة<sup>5</sup>. وقد جاء من بعده مجموعة من المتكلمين ومن الذين أعطوا دفعة قوية لعلم الكلام وهو الجويني<sup>6</sup>، الذي كان يرى "أن أول ما يجب على العاقل البالغ باستكمال البلوغ أو الحلم شرعا القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم حدث العالم"<sup>7</sup>، من خلال كتابه الإرشاد الذي نال حظوة كبيرة فقد تناوله العديد من العلماء بالشرح وهناك من سار على نهجه وتعاليمه.

<sup>1</sup> - محمود أحمد صبحي، في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين (أشاعرة)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ/1985م، ص16.

<sup>2</sup> - القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص204.

<sup>3</sup> - نفسه، ج2، ص203.

<sup>4</sup> - للاطلاع حول هاته المباحث يراجع: أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني التمهيد، نشره الأب ريشارد ويوسف مكارثي اليسوعي، منشورات المكتبة الشرقية، بيروت، 1376هـ/1957م.

<sup>5</sup> - ابن عساكر، المصدر السابق، ص15.

<sup>6</sup> - شيخ الشافعية إمام الحرمين أبو المعالي من مواليد 419هـ، وكان أبوه من الشيوخ الذين أخذ عنهم رفقت شيخه أبي سعيد النصروري وغيرهم، وتعلم من مدرسة الإمام البيهقي ومن أهم مؤلفاته النظامية، الذهبي. المصدر السابق، ج18، ص468، 472.

<sup>7</sup> - أبو المعالي عبد الملك ابن عبد الله الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق محمد يوسف وعلي عبد المنعم عبد المجيد، منشورات مكتبة الخانجي، مصر، 1369هـ/1950م.

ولم يكن الغرب الإسلامي بمعزل عن التحولات الفكرية التي عرفها المشرق الذي كان علماءه حريصين على أن تصل أرائهم ومذاهبهم إلى مختلف ربوع العالم الإسلامي<sup>1</sup>، إذ كان لأبي بكر الباقلاني دور كبير في نشر الأشعرية في بلاد المغرب، "إذ دان له أهل العلم من أئمة المغاربة وانتشر هذا المذهب إلى صقلية والأندلس"<sup>2</sup>، "وقد كان لأبي عمران الفاسي والقابسي وأبي الوليد الباجي<sup>3</sup>، وأبي بكر بن العربي<sup>4</sup>، وتلاميذهم أياد بيضاء في ذلك"<sup>5</sup>.

لقد صار علم الكلام يحتل مكانة بالنسبة للعلوم الأخرى ولعل ذلك ما يبدو واضحاً في وصية أبي الوليد الباجي لولديه بمدارسة علم الكلام إلى جانب العلوم الفقهية وتعلم القرآن الكريم فقال: "وأفضل العلوم علوم الشريعة وأفضل ذلك لمن وفق أن يجود القرآن ويحفظ حديث النبي ﷺ ثم يقرأ أصول الفقه فيتفقه في الكتاب والسنة ثم يقرأ كلام الفقهاء وما نقل من المسائل العلماء، ويدرب في طرق النظر وتصحيح الأدلة والحجج فهذه الغاية القصوى والدرجة العليا"<sup>6</sup>.

وقد ألف علماء الغرب الإسلامي مجموعة من الكتب الكلامية التي تعد بحق ذخائر أثروا بها خزانة علم الكلام، ولعل من بين هؤلاء أبو بكر المرادي الحضرمي الذي كان أول من أدخل علوم الاعتقادات لبلاد المغرب الأقصى<sup>7</sup>، ويعتبر كتابه العقيدة من أنفس الكتب الكلامية، وقد سلك فيها مجموعة من الآليات التي تعد من ركائز المنهج الأشعري ألا وهي التأويل، والتنزيه للذات الإلهية وغيرها من المباحث ذات الصلة بعلم الكلام<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - توفيق مزارى عبد الصمد، اثر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي uluslurrasi imam ES: arivearilik (21/23 Eylul 2014) sampa Z yumubilderlari، ص 564.

<sup>2</sup> - ابن عساكر، المصدر السابق، ص 15.

<sup>3</sup> - القاضي عياض، المصدر السابق، ج 2، ص 347.

<sup>4</sup> - أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي، الغنية - فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ/1982م، ص 64.

<sup>5</sup> - ابن عساكر، المصدر السابق، ص 15.

<sup>6</sup> - أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي التجيبي، النصيحة الولديه - وصية أبو الوليد الباجي لولديه، تحقيق إبراهيم ياحسب عبد المجيد، ط 1، دار ابن حزم، بيروت، 1421هـ/2000م، ص 24.

<sup>7</sup> - التادلي، المصدر السابق، ص 106.

<sup>8</sup> - للاطلاع أكثر يراجع: أبو بكر المرادي الحضرمي، العقيدة، تحقيق جمال علال بختي، ط، دار الأمانى للنشر والتوزيع، المغرب، 1436هـ/2012م.

وقد جاء من بعده تلميذه أبو الحجاج يوسف بن موسى الضرير<sup>1</sup>، الذي أعطى امتدادا ومسارات لعلم الكلام من خلال كتاب التنبية الذي هو عبارة عن نظم كلام أفرد فيه القضايا التي على صلة ماسة بعلم الكلام وقد أظهر أهمية هذا العلم من خلال هذه الأرجوزة إذ يقول<sup>2</sup>:

إِعْلَمَ هَـدَاكَ اللّهُ لِلسَّـدَادِ      فِي القَوْلِ وَالفِعْلِ وَالاعتقادِ  
أَنْ نُرِيدُ بِأُصُولِ الدِّيْنِ      أدِلَّةَ الإيْمَانِ  
وَالبَيِّنَاتِ      وَوَأَوَّلُ سَائِرِ  
وَهُوَ أَصْلُ الفَوْزِ وَالنَّجَاةِ      الطَّاعَاتِ

كما دعا من خلالها إلى أهميه النظر والإستدلال<sup>3</sup>:

وَخَيْرٌ مَا يُطَلَبُ بِالدَّلِيلِ      مَعْرِفَةَ الإِلَهِ  
وَالبَرَسِ      وَالحِظُّ عِنْدَ المَلِكِ القَيُّومِ  
وَأَمَرَ اللّهُ بِالبَاعْتِبَارِ      وَبِالتَّفَكُّرِ  
وَالبِاسْتِئْصَارِ

وقد كان ابن طلحة اليابري "ذا معرفة بالنحو والأصول والفقه ومتكلما"<sup>4</sup>، فهو من ثلة العلماء الذين أثروا الساحة الكلامية بإنتاجهم الفكري ومن ذلك كتابه العقيدة الذي أدرج فيه فصولا كلامية متنوعة منها الصفات الإلهية وغيرها من المباحث<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - التادلي، المصدر السابق، ص106.

<sup>2</sup> - أبو الحجاج يوسف بن موسى الضرير، التنبية والإرشاد في علم الاعتقاد، تحقيق سمير فويح وأخران، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1435هـ/2014م، ص48.

<sup>3</sup> - نفسه، ص49.

<sup>4</sup> - أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ط، دار صادر بيروت، 1388هـ/1968م، ج2، ص648.

<sup>5</sup> - أبو بكر بن عبد الله بن طلحة اليابري، العقيدة، تحقيق محمد الطبراني، ط1، دار الأمانى لنشر والتوزيع، الرباط، 1434هـ/2013م.

ولما عاد المهدي بن تومرت من رحلته المشرقية إلى بلاد المغرب فقد وصفه ابن خلدون بأنه "عاد بحرا متفجرا من العلم وشهابا واربا من الدين"<sup>1</sup>، فقد جمع بين علوم الحديث والفقه<sup>2</sup>، إلا أنه كان أوجد عصره في علم الكلام "وعلوم الاعتقاد"<sup>3</sup>، ولما وجد أهل المغرب على تعاليم السلف من خلال الأخذ بظواهر النصوص<sup>4</sup>، فدعاهم إلى الأخذ بالتأويل على مذهب الأشعرية<sup>5</sup>، وقد ألف مجموعة من الكتب الكلامية ومنها المرشدة باللسان البربري<sup>6</sup>، وكان أهل تينملل يفتخرون ويعتزون بهذه العقيدة<sup>7</sup>، وهي عبارة عن عقيدة صغيرة تسعها صفحة واحدة<sup>8</sup>، و بذلك فقط أعطى ابن تومرت بعدا آخر لعلم الكلام فقد أصبح يراهن على إيصاله للعامة، وما يوضح هذا الجهد هو محاولته تأليف هذه العقيدة باللغة التي يفهمونها.

كذلك كان علماء الغرب الإسلامي يذهبون إلى المشرق سببا لتحصيل هذا العلم ومنهم أبو بكر بن العربي الذي رحل إلى بغداد والتقى بالغزالي، والطرطوشي، وكان من أهل التفنن في العلوم متقدما في المعارف كلها ومتكلما على أنواعها وحريصا على نشرها<sup>9</sup>، ولعل ما أفاده من هذه الرحلة تأليفه لكتاب المتوسط في الاعتقاد فقد ذكر عبد الله التوراتي: أن الكتاب مستخلص من عيون الكتب التي جلبها في صدره من المشرق وعول

<sup>1</sup> - ابن خلدون، العبر، ج 6، ص303، أبو فارس عبد العزيز بن عبد الرحمان الملزوزي، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، منشورات المطبعة الملكية، الرباط، 1382هـ/1963م، ص56.

<sup>2</sup> - أبو محمد حسن بن علي بن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمد علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1410هـ/1990م، ص90.

<sup>3</sup> - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص174.

<sup>4</sup> - أبو العباس احمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، منشورات المطبعة الأميرية، القاهرة، 1339هـ/1915م، ص191.

<sup>5</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص302؛ الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 51؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص191.

<sup>6</sup> - ابن خلدون، العبر، ج6، ص303؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص197.

<sup>7</sup> - الحسن بن محمد الوزان الفاسي المشتهر ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الانصر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1404هـ/1983م، ج1، ص141.

<sup>8</sup> - إحنانة، المرجع السابق، ص139.

<sup>9</sup> - المقرئ، المصدر السابق، ج2، ص648.

على أصول الأشعريين ونسجه على نهج أبي المعالي في الإرشاد<sup>1</sup>، وقد أشار في هذا المصنف إلى أهمية النظر "لأن العلم بالله وصفاته لا يحصل ضرورة ولا إلهاما ولا يصح التقليد فيه، ولا يجوز أن يكون الخبر طريقا إليه وإنما الطريق إليه النظر"<sup>2</sup>، وهو من أول ما يجب على المكلف<sup>3</sup>.

كم ساهمت العقيدة البرهانية لأبي عمرو عثمان السلاجي "إمام أهل المغرب في علوم الاعتقاد"<sup>4</sup>، في مرحلة لاحقة في تقريب المضامين الكلامية الأشعرية نظرا للقصر حجمها وسهولة مفاهيمها التي كانت في المتناول<sup>5</sup>، فقد بسطت مختلف القضايا الكلامية ومنها الصفات التي كانت تتسم بالتشابه والتعقيد<sup>6</sup>، ونالت عديد الشروحات لأهميتها، مسيطرة على الدرس الكلامي في الساحة المغربية حفظا ونظما وتدريسا.

وقد استطاعت قطيعة ابن خمير السبتي ودمه للتقليد في الأصول على إعطاء علم الكلام أهمية كبيرة ونستطيع أن نقول أنه قد استحسن استحسان الكلام، فكان يرى "أن العلم بالله تعالى واجب وهو لا يحصل إلا بالنظر والاستدلال وما لا يصح الواجب به فواجب"<sup>7</sup>، "والتقليد ليس بعلم وغايته الظن والظن لا يغني من الحق شيئا"<sup>8</sup>، وقد استند للقرآن الكريم لإعطاء مشروعية ومصادقية لكلامه، من خلاله حثه عز وجل على تعلم الكلام والاستدلال لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الله التوراتي، مقدمة تحقيقه لكتاب المتوسط الاعتقاد والرد على من خالف السنة من ذوي البدع والاحاد لابن العربي، ط1، دار الحديث الكنانية، المغرب، 1436هـ/2015م، ص7.

<sup>2</sup> - ابن العربي المتوسط في الاعتقاد، ص111.

<sup>3</sup> - نفسه، ص112.

<sup>4</sup> - أبو الفضل العباس بن إبراهيم بن محمد المراكشي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، نشره عبد الوهاب بن منصور، ط2، منشورات المطبعة الملكية، الرباط، 1413هـ/1993م، ج9، ص6.

<sup>5</sup> - إحنانة، المرجع السابق، ص139.

<sup>6</sup> - للاطلاع أكثر يراجع: أبو عمر عثمان السلاجي، العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية، تحقيق نزار حمادي، ط1، وزارة المعارف، بيروت، 1429هـ/2008م.

<sup>7</sup> - أبو الحسين علي بن محمد بن خمير السبتي، مقدمات المرشد إلى علم العقائد، تحقيق جمال علال البختي، ط1، منشورات مطبعة الخليج العربي، تطوان 1425هـ/2004م، ص28.

<sup>8</sup> - نفسه، ص107.

<sup>9</sup> - [سورة الأنعام، الآية 83].

وعليه يمكن أن نقول أن موقف الفقهاء المغاربة من علم الكلام عرف مراحل تطويرية انتقلت من الرفض والتشنيع إلى المشاركة في الجدل والمناظرة والرد على المخالفين اضطرارا إلى أن انتهى الحال ببعض الفقهاء إلى قبول علم الكلام على مذهب الإمام الأشعري ونشره في الغرب الإسلامي عموماً<sup>1</sup>، ولعل ما يؤكد تصاعد واختمار الكلام هي تلك الفتوى التي رفعها الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين إلى القاضي ابن رشد حول أئمة الأشعرية "أبي الحسن الأشعري وأبي إسحاق الإسفرايني وأبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك وأبي المعالي وأبي الوليد الباجي ونظرانهم ممن ينتحل الكلام ويتكلم في أصول الديانات أهم أئمة إرشاد وهداية أم قادة حيرة وعماية؟"<sup>2</sup>، وقد جاء جواب ابن رشد: "أن هؤلاء العلماء أئمة خير وهدى ممن يجب الاقتداء بهم لأنهم قاموا بنصر الشريعة وأبطلوا شبه أهل الزيغ والضلالة وأوضحوا المشكلات وبينوا ما يجب أن يدان به من معتقدات"<sup>3</sup>، "فمن الواجب أن يعترف بفضائلهم ويقر لهم سوابقهم ولا يعتقد أنهم على ضلالة وجهالة إلا غبي جاهل أو مبتدع زائع عن الحق مائل"<sup>4</sup>.

## 2 - التحفظ من إذاعة الكلام في وسط العوام:

لقد ظلت إشكالية إذاعة الكلام بين العوام من بين الإشكاليات الصعبة التي أثارت جدلاً واسعاً ليس بين المعارضين للكلام بل حتى بين الموافقين لعلم الكلام أنفسهم فأصدر الغزالي رسالة لإجماع هؤلاء العوام عن الكلام، نظراً لما تورثه هذه الأدلة الكلامية من مضرة وإثارة للفتن والإنحلال في أوساطهم فوجب إكتفائهم بالأدلة القرآنية التي تساعدهم على فهم الأمور ببساطة بعيداً عن التقليد<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - لطيفة الوردية، "تطور موقف فقهاء المغرب من علم الكلام إلى حدود العصر المرابطي"، مجلة الإبانة، تطوان ع 2 - 3، 1435هـ/2014م، ص 64.

<sup>2</sup> - أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المالكي، فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار التليلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/1987م، ج2، ص943، 944؛ ومسائل ابن رشد، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، ط2، دار الجيل، بيروت، 1414هـ/1993م، مج 1، ص716، 717، مج 2، ص836، 837؛ وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج التجيبي القرطبي، نوازل ابن الحاج التجيبي، تحقيق أحمد شعيب اليوسفي، ط1، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، 1439هـ/2012م، ج3، ص103-104.

<sup>3</sup> - ابن رشد، فتاوى ابن رشد، مج 2، ص944.

<sup>4</sup> - نفسه، مج2، ص 945.



وقد وضع مجموعة من الإلتزامات التي وجب على العوام الإقتداء بها محاولاً من خلالها إجماعهم عن الكلام ومنها<sup>2</sup>:

1- الإقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم الذين كفوا عن التأويل ولم يخوضوا في الحجاج والجدال، ودعوا إلى أبسط الأمور وليس ذلك عجزاً منهم وإنما احترازاً وخيفة من تشويش قلوبهم وإلقاء التشكيك في عقائدهم.

2- التسليم لأهل المعرفة السابقين باعتبارهم أدرى الناس ومن ذوي العقول الثاقبة التي غاصت في بحر العلم والمعرفة.

3- الإكتفاء بظواهر النصوص ولا يتصرف فيها تصريفاً وتفسيراً وقياساً لأن ذلك من عمل المختصين بهذه العلوم، وعليه وجب التصديق بها كما نص عليها القرآن والسنة وتفويض أمرها إلى عالمها.

4- الإمساك عن الخوض في هذه الأمور فهي بحر لا نهاية له.

5- التقديس لله عز وجل عن مشابهة المخلوقين.

6- السكوت بأن لا يسأل عن معاني الآي القرآنية، ولا يخوض في متاهاتها، وأن يعتبر بأن سؤاله عنها بدعة وأن خوضه فيها يمكن أن يلحق مخاطر بدينية.

7- العجز مهما بلغ من درجات العلم لن يحيط بهذا الموضوع، كما أن مسألة العوام على شيء منها أن يبدي عجزه عن البحث فيها.

<sup>1</sup>- أبو حامد محمد الغزالي، إجماع العوام عن علم الكلام، ط1، منشورات مكتبة السيراج، اسطنبول، 1438هـ/2017م، ص67-68.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص26-102.

وعليه فيحرم التأويل عن العامة كلهم<sup>1</sup>، والأنفع لهم الإستناد إلى ما جاء به القرآن الكريم "لأن الكلام المحرر على رسم المتكلمين يشعر نفوس المستمعين بأن فيه صنعة جدل ليعجز عنه العامي"<sup>2</sup>.

ولعل هذه هي الأسباب التي لأجلها طرد ابن تومرت من مدينة مراکش لأنه إن بقي سيفسد عقائد أهلها<sup>3</sup>، ومخافة أن يفتح بابا من الظلال والانحرافات التي يصعب السيطرة عليها<sup>4</sup>، لأن سلوك العوام طريق التأويل فيه إفساد لعقائدهم وإلقاء تشكيكات في دينهم وتهيئ لفتنهم وقيامهم<sup>5</sup>.

وهو ما أفتى به ابن رشد الذي نهى على نشر وتعليم العامة الآراء الكلامية وخص بدعوته ألي الأمر من ولاية المسلمين "بأن ينهوا العامة والمبتدئين عن قراءة مذاهب المتكلمين من الأشعرية، ويمنعهم مخافة أن تتبوا أفهامهم عن فهمها فيظنون بقراءتها"<sup>6</sup>.

وقد كان الإمام مالك يحرص على أن لا يتكلم في الأمور الكلامية بحضرة الناس حيث قد الذكر القاضي عياض من أنه قد أتى إليه بعض نقاد المعتزلة ليسأله عن مسألة في القدر بحضرة الناس فأشار إليه بالسكوت حتى يفرغ ذلك المجلس<sup>7</sup>.

وعليه فنجد هؤلاء العلماء والفقهاء يحرصون على أن لا تنتشر تلك الآراء الكلامية في أوساط العامة، نظرا لما كان فيها من مقدمات صعبة لا يستطيعون فهمها، وقد بذلوا قصارى جهدهم لئلا تصل إليهم.

ومما يمكن استخلاصه من الذي تمت معالجته أن علم الكلام هو من العلوم التي لم تلق قبولا في بداية مشوارها نظرا لطبيعته العقلية التي لم تتناسب وتعاليم البيئة العقديّة، التي

<sup>1</sup> - أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي، ذم التأويل، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، ط1، دار الفتح للطباعة والنشر، الشارقة، 1414هـ/1994م، ص 37.

<sup>2</sup> - أبو حامد محمد الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، تحقيق محمود بيجو، ط1، منشورات مطبعة الحلبوني، دمشق، 1413هـ/1993م، ص 77.

<sup>3</sup> - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 174.

<sup>4</sup> - مؤلف مجهول، الحل الموشية في ذكر أخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، عبد القادر زرنامة، ط1، دار الإرشاد الحديثة، دار البيضاء، 1399هـ/1979م، ص 101.

<sup>5</sup> - البرزلي، المصدر السابق، ج1، ص 389.

<sup>6</sup> - ابن رشد، مسائله، مج2، ص 860-861.

<sup>7</sup> - القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص 82.

كانت تنص على ما جاءت به أصول الشريعة الإسلامية، غير أنه سرعان ما احتكم إليه علماء وفقهاء أهل السنة لما حجة فرق استطاعت أن تفرض ما توصلت إليه من أحكام وحقائق، ولم يكتف هؤلاء بعلم الكلام كوسيلة دفاعية بل اكتسح مجال التأليف، إذ عكست تلك المؤلفات خاصية لعلم كلام مغربي بامتياز وأصبح متناولاً شرحاً وتدریساً.

## الفصل الثاني:

### الأفق الذهني من الاستواء المعلوم إلى كيف المفهوم

أولاً: التفويض.. مذهب السلف أسلم.

1 - مذهب السلف في الصفات الإلهية.

2 - منطق الإثبات بين التفويض والتشبيه.

ثانياً: التأويل.. مذهب الخلف أحكم.

1 - مذهب الخلف في الصفات الإلهية.

2 - منطق التأويل بين التنزيه والتعطيل.

تبقى مسألة الصفات الإلهية عنوان نقاشات عقديّة بين السلفية والأشاعرة ومن المواضيع المعقدة لأنها تغوص في مسائل نستطيع أن نقول عنها أنها تعتمد على استنتاجات وقياسات ما توصل إليه العقل من أحكام وتصورات للذات الإلهية وما تتصف به من صفات.

ونظرا لتلك الصعوبات إكتفى السلف بتفويض هذه الصفات، والإيمان المطلق بما جاء منصوصا عليها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولأنه ومهما بلغت قدرات الإنسان أو الباحث في هذا المجال لا يمكن أن يحيط علما بهذه الصفات.

إلا أن الخلف ولما رأوا أن السكوت عما كان فيه إحياء بالتشبيه للذات الإلهية هو إثبات لجسمية لا محالة، مما يتوجب حمل هذه الآيات والأحاديث على غير ما تبدوا في ظاهرها، ونفي كل ما من شأنه أن يثبت علاقة بين الصفات الإلهية وصفات المخلوقين.

### أولا - التفويض.. مذهب السلف أسلم:

لقد حظي موضوع الصفات الإلهية من قبل سلف هذه الأمة بأهمية بالغة نظرا لما كان موضوع بحثها متعلق بأشرف ما بحث فيه "الله"، وقد أحاطت السلفية هذه القضية بمنظور تسليمي تفويضي لكل ما ورد من صفات الذات الإلهية. باعتبار السكوت عنها من السبل المنجية من الدخول في تعقيدات.

إلا أن منطق التفويض سرعان ما أيقض خصومه لإطلاق سهام النقد، واتهام علماء وفقهاء السلفية بالتجسيم دون منازع.

## 1 - مذهب السلف في الصفات الإلهية:

من المؤلف عن هؤلاء السلف ومما هو شائع عن مقالاتهم في موضوع الصفات الإلهية أنهم أثبتوا لله - عز وجل - صفاته كلها دون استثناء كما نصت عليه النصوص القرآنية، ومما جاء ماثورا على لسان نبيه ﷺ، مجسدين مقالة بلا كيف، إمرار تلك الآي والأحاديث كما وردت دون خوض في تفاصيلها<sup>1</sup>، مع مراعاة تنزيه ذات الله عز وجل وصفاته عن مشابهة صفات خلقه<sup>2</sup>.

وقد ظل علماء وفقهاء الغرب الإسلامي محتفظون بتلك التعاليم، ولعل ما يدل على ذلك أن ما ورد في القرآن الكريم من آيات وأحاديث التي يوحي ظاهرها التشبيه مثل<sup>3</sup>: أحاديث التنزل و القدم وغيرها<sup>4</sup>، "فأمروها كما جاءت"<sup>5</sup>، وسكتوا عنها مفوضين ما لم يحيطو به علما إلى الله عز وجل<sup>6</sup>. ومما ورد عن الإمام مالك -رحمه الله- أنه كان ينهي عن الإكثار من التحدث عن الآيات المشابهة أمام الملائخ خشية أن يتبادر إلى أذهانهم منطق التشبيه بين الخالق و المخلوق<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> المقدسي، المصدر السابق، ص08؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الإختلاف في اللفظ والرّد على الجهمية والمشبهة، نشره عمر بن محمود أبو عمر، ط1، دار الراجية للنشر والتوزيع، الرياض، 1416هـ/1991م، ص53.

<sup>2</sup> أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، عقيدة السلف وأصحاب الحديث، تحقيق أبو أيمن المنصوري، ط1، دار المنهاج، مصر، 1423هـ/2003م، ص37.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المقدمة، ج3، ص32.

<sup>4</sup> ابن عبد البر، المصدر السابق، ج2، ص944.

<sup>5</sup> ابن خلدون، المقدمة، ج3، ص32.

<sup>6</sup> ابن أبي زيد القيرواني، المصدر السابق، مج3، ص553.

<sup>7</sup> أبو الوليد بن رشد القرطبي، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق أحمد الحبابي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م، ج1، ص505؛ ابن أبي زيد القيرواني، المصدر السابق، مج4، ص552.

ولما أدرك السلف استحالة التشبيه لله عز وجل<sup>1</sup>، تيقنوا أنه لا يمكن لأحد أن يطلق على الله صفة ما لم يتم ذكرها في كتابه. ولا ورودها في سنة نبيه، ولم يبحثوا في معانيها وكفاهم منها تفويضا وتسليما إلى باريها.

وبذلك يتضح لنا أنّ هؤلاء احتكموا لما ورد به النقل، ولم يقحموا العقل في موضوع الصفات بل جعلوا من أحكام العقل تابعة للنقل، وذلك من منطلق أنّ العقل ليست له مكانة في أمور التوحيد<sup>2</sup>، باعتبار أنه لا يمكن أن يحكم إلاّ فيما رآه أو كان له ما يناظره<sup>3</sup>، ولما كانت الصفات الإلهية أمور غيبية لا تدركها الأبصار وليس لها شبه حتى يستطيع أن يتخيل أو يقيس عليها، مصداقا لقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>4</sup>.

فذلك أصل من أصول أهل السنة من أنّ العقل لا حظر له ولا إباحة<sup>5</sup>، ولا تأويل للقرآن الكريم وتفسيره وتخريجه إلاّ بالقدر الذي تؤدي به عبارات آياته، وما تظافت عليه وتناقلته الأخبار<sup>6</sup>.

فأثبتوا كل الصفات الإلهية بدون تحريف ولا تعطيل، طبقا لما جاء منصوصا عليه في القرآن الكريم وما صح على لسان نبيه ﷺ من غير تمثيل ولا تكيف<sup>7</sup>، لقوله تعالى:

<sup>1</sup> ابن خلدون، المقدمة، ج3، ص32.

<sup>2</sup> أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي زيد القيرواني، النوادر و الزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق محمد حجّي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1419هـ/1999م، ج4، ص553.

<sup>3</sup> المقدسي، المصدر السابق، ص39-40.

<sup>4</sup> [سورة الشورى، الآية11].

<sup>5</sup> أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية و التحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، تحقيق محمد حجّي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م، ج1، ص59.

<sup>6</sup> أبو زهرة محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد والمذاهب الفقهية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1403هـ/1990م، ص179.

<sup>7</sup> ابن عبد البر، المصدر السابق، ج2، ص943.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>1</sup>. وبهذه الآية ينفي الله عز وجل عن نفسه المماثلة والتشبيه.

و لما كان الله واحد لا شريك له أثبتوا له صفة الوجدانية بأن الله واحد لا إله غيره ولا شبيهه ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبه له ولا شريك له<sup>2</sup>، فتحققت في هذه العبارات تنزيهه للذات الإلهية من أن يشرك مع وحدانية الله شيئاً، لقوله تعالى: ﴿تَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾<sup>3</sup>، وقد جاء في تفسير هذه الآية تقدُّس الله عز وجل وتنزهه عن الأولاد و الشركاء<sup>4</sup>.

ولا خلاف بين الأمة من أنّ الله عز وجل واحد لأنه لو كان إلهين لصح لأن يختلفا وإن اختلفا فإنه يستحيل أن يتحقق ما يريدانه، فيتم ما أراده إله دون الآخر، ولو تحقق ذلك فيعتبر في حق الإله عجز، وتنزه الله أن يأتيه عجز ولا نقص<sup>5</sup>، فتبين بذلك بدلالة النقول والعقول أنّ الله واحد لا شريك له في التدبير.

وما جاء من الآيات التي نصّت على سمع الله عز وجل وبصره، فهو السميع البصير<sup>6</sup>، حقيقة لا يختلف فيها إثنان، ولا ينكرها إلا جاهل، وسمعه وبصره خلاف من

<sup>1</sup> [سورة الشورى، الآية 11].

<sup>2</sup> أبو محمد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني، الرسالة الفقهية، تحقيق حمو الهادي وأبو الأجدان محمد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1417هـ/1997م، ص75.

<sup>3</sup> [سورة المؤمنون، الآية 116].

<sup>4</sup> أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق التركي عبد الله بن عبد المحسن، ط1، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، 1427هـ/2006م، ج16، ص98.

<sup>5</sup> ابن رشد، المقدمات الممهّدات، ج1، ص17-18.

<sup>6</sup> ابن أبي زيد القيرواني، الرسالة، ص76.



يسمع ويبصر في هذا العالم<sup>1</sup>، فلو لم يكن الله موصوفا بهما لا تصف بأضدادها من الخرس والعمى، تعالى الله عن صفات النقص<sup>2</sup>.

مستوى على عرشه<sup>3</sup>، دون خوض في كيفية استواءه، ومما ورد عن الإمام مالك - رحمه الله - إجابته عن هذه المسألة التي حاول من خلالها صد باب الخوض والبحث في صفات الله عز وجل بقوله: "الاستواء غير مجهول، وكيف منه غير معقول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب"<sup>4</sup>.

وقد شرح البرزلي هذه العبارات<sup>5</sup>:

- فالكيف مجهول: يعني بها محمل مجهولة لنا ولا يمكن أن نتصور صورتها.  
- الإيمان به واجب: أي التصديق كما أقر بها الله عز وجل في كتابه.  
- السؤال عنه بدعة: لأنه ما لم يعهد مثله في عهد الصحابة والسلف - رضوان الله عليهم - ومنها وجب التسليم لما ورد به الشرع، فرارا من تعطيله، ولاخوض في كيفية خشية الوقوع في تشبيه الله عز وجل<sup>6</sup>.

ومنه فقد ثبت أن الله تعالى مستوى على على عرشه في سمائه دون أي مكان آخر<sup>7</sup>، ولعل من الأدلة التي تثبت ذلك هو أن المتعبدون أثناء تضرعهم لله عز وجل يرفعون أيديهم إلى السماء دون أي جهة أخرى، ومنها ما ورد على النبي ﷺ في "حديث الأمة

<sup>1</sup> أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر و عميرة عبد الرحمن، ط2، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/1996م، ج5، ص311.

<sup>2</sup> ابن رشد، المقدمات الممهدة، ج1، ص19-20.

<sup>3</sup> ابن أبي زيد القيرواني، الرسالة، ص76.

<sup>4</sup> أبو محمد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني، الجامع، تحقيق أبو الأجدان محمد وبطيخ عثمان، ط1، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ/1983م، ص123؛ البرزلي، المصدر السابق، ج1، ص389.

<sup>5</sup> البرزلي، المصدر السابق، ج1، ص390؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، مختصر العلو للعلو للغفار، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ص141.

<sup>6</sup> ابن خلدون، المقدمة، ج3، ص42.

<sup>7</sup> أبو محمد بن علي بن نصر البغدادي القاضي عبد الوهاب، شرح عقيدة الإمام مالك الصغير أبو عبد الله بن أبي زيد القيرواني، تحقيق أبو الفضل بدر العمراني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423هـ/2002م، ص26.

السوداء التي أراد مولاها عتقها إن كانت من المؤمنين، فأخبرها عليه السلام بأن قال لها: أين الله؟ فأشارت إلى السماء... فقال له: إعتقها إنها مؤمنة فاكتفى عليه السلام برفع رأسها إلى السماء"<sup>1</sup>.

فيتبين لنا أن الرسول ص - قد أثبت لها الإيمان، لما آمنت بما بدى لها من ظواهر الآيات القرآنية التي ثبتت أن الله عز وجل مستوٍ على عرشه في سمائه"<sup>2</sup>.  
وقد اتخذ السلف نفس مسلك الإثبات للصفات الخبرية إستنادا لما نصت عليه النصوص، فقد أثبتوا له صفة اليد من غير تكيف فهو "يقبض ويبسط ويدها مبسوطتان والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه"<sup>3</sup>، مصداقا لقوله عز وجل: ﴿وَيَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾<sup>4</sup>، وما جاء منصوصا في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام إذ قال: "يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى لَهَا يَغِيضُهَا شَيْءٌ نَفَقَةٌ سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ"<sup>5</sup>.

كما فوضوا مجيء الله عز وجل غير مجيء خلقه من الحركة والانتقال من موضع إلى آخر، فمجيء الله عز وجل ليس مجيء حركة ولا إنتقال ولا زوال<sup>6</sup>، فسبحانه عز وجل يجيء يوم القيامة بعد أن لم يكن جائيا و الملك صفا صفا لعرض الأمم وحسابها وعقوبتها وثوابها<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> أخرجه ابن خزيمة، من كتاب: التوحيد، في باب: ذكر الدليل على الإقرار بأن الله عز وجل في السماء من الإيمان، تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، ط1، دار الرشد للنشر والتوزيع، السعودية، 1408هـ/1988م، ص1158، الحديث رقم: 181.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المقدمة، ج3، ص43.

<sup>3</sup> ابن أبي زيد القيرواني، إختصار المدونة والمختلطة، ج4، ص75.

<sup>4</sup> [سورة البقرة، الآية210].

<sup>5</sup> رواه البخاري، في كتاب: التفسير، في باب: وكان عرشه على الماء، ط1، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1436هـ/2002م، الحديث رقم: 4684، ص1158.

<sup>6</sup> أو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق عبد الإله بن عبد الصديق، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، المغرب، 1379هـ/1979م، ج7، ص137.

<sup>7</sup> ابن أبي زيد القيرواني، الرسالة، ص78.

ونظرا لما كانت صفة الوجه وما يكتنفها من غموض فسلموا بها، ولم يتعرضوا  
لكيفيتها ببحث ولا سؤال، لقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾<sup>1</sup>.

## 2 - منطق الإثبات بين التفويض والتشبيه:

نتيجة لما أثبتته السلف من صفات الله عز وجل وتفويض أمرها لله عز وجل،  
وسكتوا عن الخوض في كيفيتها، أعتبر خصوم المثبة أنهم لا يدركون معاني الصفات  
الإلهية ما جعلهم يفوضون أمرها لله عز وجل وسكتوا عن مدلولها.

وقد احتج هؤلاء بأن الرسول عليه الصلاة والسلام لما يقوله ويقرأه من أقواله تعالى:  
"الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"<sup>2</sup>، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾<sup>3</sup>، وغير ذلك من الأحاديث  
والآيات الواردة في الصفات فهو لا يدرك معاني هذه الصفات، معتبرين بأن هذه هي  
طريقة السلف في الصفات<sup>4</sup>.

مما يتبين لنا أن تفويض السلف للصفات والأخذ بظواهر النصوص قد أُعتبر عدم  
إدراك وعجز من سلف هذه الأمة، إلا أن ذلك غير ممكن فالرسول ﷺ قد علم الخلق أمور  
دينهم وأتمها، فكيف له أن لا "يبين لهم ما يعتقدونه في قلوبهم في ربهم الذي معرفته غاية  
المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> [سورة الفجر، الآية 22].

<sup>2</sup> [سورة طه، الآية 05].

<sup>3</sup> [سورة المائدة، الآية 64].

<sup>4</sup> ابن تيمية، المصدر السابق، ج 1، ص 15.

<sup>5</sup> أبو العباس أحمد بن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق بن قاسم عبد الرحمن بن محمد، منشورات  
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 1437هـ/2003م، ص 07.

ولعلّ ممّا يدل على إمامهم بمعانيها تفسيرهم لعديد الصّفات منها صفة الإستواء التي كانت على الرفعة والعلو<sup>1</sup>، إلاّ أن هؤلاء قد كيفية تلك الصّفات وممّا ينص على مقولة الإمام مالك - رحمه الله - في الإستواء، بأنّه تجهل فيه كيفية إستواء الله عز وجل، واعتبر السؤال عنه من البدع، ودعى إلى وجوب التسليم دون خوض في كيفيته<sup>2</sup>.

وإضافة إلى ذلك ممّا نعت به السلف نظرا لإمرارهم آيات القرآن وأحاديث السنة على ظاهرها "بالمجسمة" باعتبار أنّ السكوت عنها إثبات لجسمية لا محالة، ومن بين هؤلاء: المهدي بن تومرت عند دخوله إلى بلاد المغرب، فلما كان فقهاؤها يحتكمون لتعاليم السلف من الأخذ بظواهر النصوص فنعتهم بالمجسمين<sup>3</sup>، لأنهم شهروا صفات الله عز وجل بصفات المخلوقين، حاملا إياهم على الكفر، محرّضا أتباعه للخروج عن طاعتهم لأنهم من صنف الجهلة، والمنافقين<sup>4</sup>.

ممّا يتوضّح من أنّ السلف قد صدّوا باب الخوض في الصّفات الإلهية، وتفويضها ليس من باب العجز وعدم الاستيعاب فقد كانوا أعرف الناس بهذه المعاني، وإنّما انطبق منطق التفويض غالبا على الكيفية التي لا يمكن لأحد تصور وتمثل ما تكون عليه تلك الصّفات.

## ثانيا - التأويل.. مذهب الخلف أحكم:

لقد أعطى الخلف نظرةً وتصوراَ آخران للصّفات الإلهية متجاوزين ما دعت إليه ظواهر الآيات القرآنية والأحاديث باعتبار إمرارها والسكون عنها هو إثبات لجسمية الله عز وجل، فتأولوا ما جاء منصوفا عليه تنزيها له تعالى عن محدثات الأمور، إلاّ أن هذا المنهج اقتصر على خاصتهم دون عامتهم الذين بقت مفاهيمهم تدور في دائرة التشبيه

<sup>1</sup> ابن رشد، البيان والتحصيل، ج16، ص387-399.

<sup>2</sup> ابن أبي زيد القيرواني، الجامع، ص123.

<sup>3</sup> ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص174.

<sup>4</sup> ابن القطان، المصدر السابق، ص98.

والتجسيم للذات الإلهية، ونظرا لما نفاه الأشاعرة من الحلول والجوارح لم يسلم منهجهم من انتقادات واتهامات خصوم التأويل معتبرين ذلك تعطيلا لصفات الله عز وجل.

## 1 - مذهب الخلف في الصفات الإلهية:

لقد سلك الأشاعرة منطق الإثبات والتأويل للصفات الإلهية، إلا أن إثباتهم إقتصروا على جزء من هذه الصفات: من العلم والقدرة، والحياة، والكلام، السمع، البصر، الوجدانية، وتأولوا الصفات الخبرية منها.

فأثبتوا الله عز وجل صفة الكلام إلا أن كلامه ليس من جنس الحروف والأصوات باعتبار أن الحروف والأصوات تحتاج إلى مخارج لنطقها، ولما كانت هذه المخارج من صفات المحدثات<sup>1</sup>، فتنزها الله أن يكون كلامه من جنس الحروف والأصوات، وتبقى هذه الأخيرة أدوات لكتابة كلامه وليست عين حديثه عز وجل، ولعل ما يبرز ذلك مقالة الإمام الغزالي - رحمه الله - التي حاول فيها تلخيص منظورهم لصفة الكلام بقوله: "إن كلامه ليس بصوت يحدث من إنسلاال هواءٍ أو اصطكاك أجرامٍ ولا بحرف ينقطع بإطباق سنة أو تحريك لسان"<sup>2</sup>.

وقد صار على منهجهم من تأثر بالأشعرية من علماء الغرب الإسلامي الذين أثبتوا لله كلاما قديما أزليا قائما في النفس ليس بحرف ولا صوت<sup>3</sup>، مستدلين بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ﴾<sup>4</sup>. كلاماً واحداً غير متعدد فهو أمر ونهي، وخبرٌ

<sup>1</sup> أبو بكر بن الطيب الباقلائي، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق الكوثري محمد بن زاهد حسن، ط2، منشورات المكتبة الأزهرية، 1421هـ/2000م، ص98.

<sup>2</sup> أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1426هـ/2005م، ص107.

<sup>3</sup> اليابري، المصدر السابق، ص158؛ ابن العربي، المصدر السابق، ص212؛ وابن خمير، المصدر السابق، ص206.

<sup>4</sup> [سورة المجادلة، الآية08].

واستخباراً، ونداءً<sup>1</sup>، ووعدٌ ووعيدٌ<sup>2</sup>، ومما يثبت أنّ كلامه عز وجل من قبل الأوامر والمنهيات هو ما جاء عن الأنبياء-صلوات الله عليهم- من أمرٍ ونهي، وكل ذلك لا يكون إلا من أمرٍ ناهٍ<sup>3</sup>، كُفُوا بتبليغه إلى الخلق.

ولمّا كان التعدد والانقسام من صفات الأجسام فأثبتوا لله عز وجل الوجدانية، وحدانية تلخصت في ثلاثة أسس ومما جاء منها<sup>4</sup>:

1- أنّ الله عز وجل لا يشبه أحد من خلقه.

2- أنّه واحد في نفسه تستحيل عليه القسمة والتعدد.

3- أنّه المنفرد في أفعاله لا يفعلها أحد غيره.

فالله عزّ وجل منزّه على أن يشبه ممّا خلقه لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>5</sup>، فما كان له شبه بشيء لا يخلو من أن يكون بنفس جنسه، و الخالق عز وجل تعالى علواً كبيراً أن يكون من جنس ما خلق<sup>6</sup>، فهو الواحد في نفسه تستحيل عليه القسمة والتأليف لأن تلك من خصائص الجواهر و الأعراض<sup>7</sup>، كما قد دلّت أفعاله على وحدانيته لاستحالة صدور الفعل من فاعلين<sup>8</sup>، لقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، لباب المحصل في أصول الدين، تحقيق عباس محمد حسن سليمان، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1416هـ/1996م، ص158.

<sup>2</sup> أبو عبد الله محمد بن عمر التلمساني، شرح أم البراهين، تحقيق خالد زهري، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1430هـ/2009م، ص62؛ وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، نهاية الأقدام في علم الكلام، تحقيق ألفريد جيوم، ط1، منشورات مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1430هـ/2009م، ص296.

<sup>3</sup> ابن خمير، المصدر السابق، ص209.

<sup>4</sup> المرادي، المصدر السابق، ص198.

<sup>5</sup> [سورة الشورى، الآية11].

<sup>6</sup> محمد بن تومرت بن عبد الله بن تومرت، أعزّ ما يطلب، تحقيق عمار طالبي، صدر ضمن منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 1427هـ/2007م، ص216.

<sup>7</sup> أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، الأمد الأقصى، تحقيق عبد الله التوراتي وعروبي أحمد، ط1، دار الحديث الكناينة، المملكة المغربية، 1436هـ/2015م، ج1، ص314.

<sup>8</sup> ابن العربي، المتوسط في الاعتقاد، ص156.

وكما نصّت آياته تعالى على ثبوت سمعه وبصره أثبتوا له السمع والبصر لقوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾<sup>2</sup>، فلو اتصّف بأضدادها من الخرس والعمى لكان نقص والله عزّ وجلّ منزّه على أن يتّصف بصفات النقائص<sup>3</sup>، غير أن سمعه وبصره تعالى ليس من جنس الجوارح من البصر والأذن لأنّه من صفات المخلوقين، ممّا تقدم إيضاحه تنزيه الله عن الشبه<sup>4</sup>.

ألا إنّ منطق الإثبات لم يختص بالصّفات الخبرية التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث النبويّة سواء كان منها الذاتية: كالوجه واليد، والعينين والأصابع وغيرها، أو منها ما كانت فعلية: كالإستواء، والنزول، والمجيء، والرضى والغضب، التي نصّت على أفعاله عزّ وجلّ.

فحملوا صفة الوجه على غيرها ما نصت عليه الآيات في قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾<sup>5</sup>. فليس المراد به وجه كوجه مخلوقاته، وإنّما الله عزّ وجلّ موجود بعلمه<sup>6</sup>، كما تأولوا الساق الوارد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ﴾<sup>7</sup>، باعتباره ينم عن عضوٍ جسمي، فأوضحوا المراد منه إشارة الله عزّ وجلّ وإخباره عن اشتداد الأمر يوم القيامة<sup>8</sup>، واصفا لنا هول الموقف في ذلك اليوم<sup>9</sup>، أو أنّ الساق هو دلالة على خلق من خلقه إضافة في الأخبار إضافة الملك إلى نفسه<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> [سورة الفرقان، الآية 03].

<sup>2</sup> [سورة طه، الآية 04].

<sup>3</sup> الياقوبي، المصدر السابق، ص 147.

<sup>4</sup> التلمساني، المصدر السابق، ص 62.

<sup>5</sup> [سورة البقرة، الآية 15].

<sup>6</sup> ابن حزم. المصدر السابق، ج 2، ص 348.

<sup>7</sup> [سورة القلم، الآية 42].

<sup>8</sup> المرادي، المصدر السابق، ص 253.

<sup>9</sup> ابن حزم، المصدر السابق، ج 2، ص 351-352.

<sup>10</sup> المرادي، المصدر السابق، ص 254.

ولمّا كان التنزيه جوهر تأويلهم لتلك الآيات ففسروا صفة اليد بالقدرة<sup>1</sup>، البالغة التي يتم من خلالها القيام بالفعل<sup>2</sup>، أو ما ينزله الله عز وجل من فضله وعطاءه على عباده باعتبارها أفضل النعم و أعلاها، ولمّا كان القبض والبسط دلالة على توسع الجسم، والقبض عكس ذلك، فالمقصود بالبسط في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءُ بَنِينًا بِيَدِي وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾<sup>3</sup>. دلالة على التوسع، في حين أنّ القبض الذي جاء منصوصاً في قوله تعالى: "وَالْخَلْقُ يَوْمَئِذٍ فِي قَبْضَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"<sup>4</sup>، فكل ما كان من خلقه قبضته تعالى يوم القيامة في سلطانه وحكمه وطوعه<sup>5</sup>.

وممّا جاء عن النبي ﷺ من أنّ: "قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن"<sup>6</sup>، فهو بين تدبيرين<sup>7</sup>، من ملك مرشد للخير، وشيطان يدعو للشّرّ ويزيغ عن الحق<sup>8</sup>، أو بين نعمتي الخوف والرجاء<sup>9</sup>.

أمّا الشطر الثاني من الصفات الخبرية ألا وهي الصفات الفعلية، فأرجعوا الاستواء في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾<sup>10</sup>، إلى معنى الغلبة والقهر<sup>11</sup>، لقول

قَدْ اسْتَوَى بَشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ      مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَ دَمٍ مَهْرَاقِ

<sup>1</sup> نفسه، ص232.

<sup>2</sup> ابن حزم، المصدر السابق، ج2، ص349.

<sup>3</sup> [سورة الذاريات، الآية47].

<sup>4</sup> [سورة الزمر، الآية67].

<sup>5</sup> اليابري، المصدر السابق، ص166.

<sup>6</sup> أخرجه مسلم، في باب: تصريف الله للقلوب كيف شاء، من كتاب: القدر، تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات، ط1، دار التأصيل، مصر، 1435هـ/2014م، ص19، الحديث رقم: 2745.

<sup>7</sup> ابن حزم، المصدر السابق، ج2، ص350.

<sup>8</sup> ابن العربي، المتوسط في الاعتقاد، ص196.

<sup>9</sup> نفسه، ص146.

<sup>10</sup> [سورة طه، الآية05].

<sup>11</sup> ابن العربي، المتوسط في الاعتقاد، ص167.

<sup>12</sup> أبو محمد شرف الدين عبد الله بن محمد بن التلمساني، شرح معالم أصول الدين لفخر الدين الرازي، تحقيق نزار حمادي، ط1، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، 1431هـ/2010م، ص222.



ونظراً لانفراده بالملك تعالى فمعنى استواءه عز وجل الملك وقوة سلطانه<sup>1</sup>، أو دلالة على القصد لما جاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾<sup>2</sup>، وبذلك فقد نفوا حلول الله في الأمكنة واستواءه<sup>3</sup>، إذ لما نصّ الله عزّ وجلّ على وجوده في سمائه فليس المراد منها وجوده في السّماء، وإنما للدلالة على فوقية وعلوّ المكانة والمنزلة<sup>4</sup>.

كما أنّ نزوله الذي جاء في حديث الرسول ﷺ "مَنْ أَنْ رَبَّنَا يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلِّ لَيْلَةٍ حَيْثُ يَبْقَى الثُّلُثُ الْأَخِيرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبْ لَهُ وَمَنْ سَأَلَنِي فَأُعْطِيهِ وَمَنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ"<sup>5</sup>، فإنّ الله عزّ وجلّ يظهر رحمته لعباده و يُغدق عليهم من نعمه<sup>6</sup>، مرسلًا ملكًا من ملائكته لينوب عن أمره<sup>7</sup>.

فمجيئه ليس حركة ولا انتقالًا كمجيء خلقه انتقالهم من موضعٍ إلى آخر، فما نصّ عليه تعالى في قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾<sup>8</sup>، مقصود به حلول أمره وحكمه في خلقه<sup>9</sup>.

ولمّا كان الغضب والرضى صفتان من صفات أفعاله للدلالة على حكم أفعال عباده إلا أنّ ذلك ليس من قبيل رضى وغضب عباده من التشنّف والبسط، بل رضاه، احسانه

<sup>1</sup> أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني، شرح العقيدة البرهانية، تحقيق نزار الحمادي، ط1، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، 2008/هـ1429م، ص66.

<sup>2</sup> [سورة فصلت، الآية11].

<sup>3</sup> أبو عبد الله محمد بن خليل الإشبيلي، شرح مرشدة ابن تومرت، تحقيق يوسف إحنانة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993/هـ1415م، ص18.

<sup>4</sup> ابن العربي، الأمد الأقصى، ج1، ص439.

<sup>5</sup> أخرجه البخاري، في باب: الدعاء في الصلاة في آخر الليل، من كتاب: التهجد، ط1، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002/هـ1433م، ص، الحديث رقم: 1145277.

<sup>6</sup> ابن العربي، المتوسط في الاعتقاد، ص168.

<sup>7</sup> اليابري، المصدر السابق، ص166.

<sup>8</sup> [سورة الفجر، الآية24].

<sup>9</sup> ابن التلمساني، المصدر السابق، ص223.

وإنعامه على خلقه<sup>1</sup>، أمّا غضبه فالمراد به عقابه<sup>2</sup>، فكلاهما يعودان إلى إرادته فإذا كانت إرادة إنعام فينال بها رضاه، وعكسها صحيح<sup>3</sup>.

إلا أنّ تأويل هذه الآيات اقتصر على خاصة المجتمع، بينما العامة وعلى الرغم من المجهودات كانت بمعزل عن ذلك، ومما يثبت هذا بقاء أقوالهم وما رددوه في أدعيتهم تدور في فلك التشبيه والتجسيم، ومنها ما نقلها لنا الزجالي في كتابه "أمثال العوام" ومنها<sup>4</sup>:

1- أعمى ترى؟ الله يرى؟

2- أنا بك وبالله.

3- ما يرحمك إلا الله ودرهمك.

4- أن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن<sup>5</sup>.

كما حصر لنا السكوني ممّا كان ماثورًا عليهم في أقوالهم التي لم تنفك عن إثبات جسمية لا محالة ومن هذه الأقوال<sup>6</sup>:

1- هذه يدك في يد الله.

2- سبحان الله المنفرد في سمائه.

3- أكبر في كل مكان لا يخلو منه مكان.

4- يا عليّ في سمائه.

<sup>1</sup> ابن العربي، المتوسط في الاعتقاد، ص208.

<sup>2</sup> ابن التلمساني، المصدر السابق، ص486.

<sup>3</sup> أبو الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي، لباب العقول في الردّ على الفلاسفة في علم الأصول، تحقيق محمد حسين فوقية، دار الأنصار للتوزيع، ط1، القاهرة، 1397هـ/1977م، ص287.

<sup>4</sup> أبو يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، فاس، 1394هـ/1975م، ج2، ص270.

<sup>5</sup> أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي، نكت الأمثال ونقطة السحر الحلال، تحقيق الكردي علي إبراهيم، ط1، دار سعد الدين، دمشق، 1416هـ/1995م، ص40.

<sup>6</sup> أبو علي عمر بن خليل السكوني، المختار من كتب لحن العامة والخاصة في المعتقدات، ط1، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، 1426هـ/2005م، ص57-09.

5- ما معي إلا أنت مع الله.

## 2 - منطق التأويل بين التنزيه والتعطيل:

لقد سلك الأشاعرة مسلك التأويل فراراً منهم من التشبيه والتجسيم فتأولوا الآيات المتشابهة حتى ينزّهوا الخالق عزّ وجلّ عن ما اتّصف به المخلوق، إلا أنّ ذلك لم يسلم من انتقادات وجّهت لمنهجهم الأشعري التأويلي ولعلّ من بينهم ابن رشد الذي رأى أنّ تأويلهم للنصوص القرآنية كانت أم حديّثة، وما قدّموا من حجج وبراهين للدفاع عنها، أنّها أدلّو غير برهانية، كما أنّ التسليم بما جاءت به هاته النصوص أسلم وأقنع من تأويلاتهم التي تعدّوا من خلالها النصّ القرآني نفيّاً وتأويلاً<sup>1</sup>.

ونظراً لما كان إثبات الجهة والحلول من شأنه أن يثبت جسمية لله عزّ وجلّ، فنّفوا الجهة على الرغم من أنّ كلّ الظواهر الشرعية تثبت الجهة وهذا ما نصّ عليه تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً﴾<sup>2</sup>.

مما يتبين لنا أنّ تأويلاتهم للنصوص القرآنية كانوا يرمون من ورائها إلى تنزيهه عزّ وجلّ على أن يكون من جنس ما اتّصفت به مخلوقاته.

إلا أنّ هذا التأويل قد أوغلهم في تعطيل الصّفات الإلهية وهذا ما أشار إليه ابن تيمية الذي حاول توضيح حجة النفي لتلك الصّفات بقوله: "أنّ هؤلاء (الأشاعرة) قد أوهموا النّاس أنّ الله ليس من جنس المخلوقات ولا مثل أبدان الخلق... ولكن مقصودهم بذلك أنّه لا يرى ولا يتكلم بنفسه ولا يقوم به صفة"<sup>3</sup>. فقد حاول ابن تيمية من خلال ذلك أن يثبت أهداف الأشاعرة من التأويل.

<sup>1</sup> أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة مع مقدمة تحليلية وشروح لمحمد عابد الجابري، ط1، منشورات مركز الوحدة العربية، بيروت، 1418هـ/مارس 1998م، ص141.

<sup>2</sup> [سورة الحاقة، الآية 17].

<sup>3</sup> ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج2، ص11.

وقد أراد ابن تيمية التدايل على صحّة ما قال به بالمهدي بن تومرت الذي دعى إلى التوحيد من خلال نفيه للصفات الإلهية باعتبارها جوهرًا ومبدأً لمن اتّبع طريقته في التوحيد للذات الإلهية<sup>1</sup>.

ومما يثبت ذلك هو ما انطوت عليه عقيدة المرشدة التي سلك فيها مسلك النفي للصفات الإلهية ولعلّ هذا ما نقله ابن تيمية من أنّ لابن تومرت كتابا في التوحيد (المرشدة) صرّح فيه بنفي الصفات... ولم يذكر شيئاً من إثبات الصفات، وإثبات الرؤية، ولا قال إن كلام الله غير مخلوق وغيرها من المسائل التي جرت عادة مثبتة للصفات<sup>2</sup>.

وبانحراف ابن تومرت عن عقيدة السلف في الإثبات للصفات الإلهية بالنفي، ما اعتبر البعض مرشدته قد انحرفت على سبيل العقيدة السليمة والتوحيد الصحيح وهو ما أشار إليه الذهبي من أنّ "ما كان في المرشدة من التوحيد والخير بانحراف"<sup>3</sup>.

ومما يمكن استخلاصه من أنّ الجانب العقدي قد اتّخذ مرحلتين، مرحلة الإثبات والتسليم لما جاءت به النصوص والإيمان المطلق بما ورد فيها من الصفات دون خوض في كيفية ببحث ولا سؤال، ألاّ أنّه قد شهد إنتقالاً نوعياً إلى مسالك التأويل الذي اتّبعه العلماء والفقهاء، الذين حاولوا تجريد الأفهام ونقلها إلى تصورات تكون فيها الذهنية بمعزل عن كل ما يوحي بالتشبيه والتجسيم، إلاّ أنّ ذلك لم يُفد عامة المجتمع الذين يمثلون السواد الأعظم، والذين ظلت أفهامهم مرتبطة بذهنية لم تُعن من التأويل شيئاً على الرغم ممّا بُذِل من مجهودات سواء من تعليم وتأليف لمؤلفات.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ج3، ص438.

<sup>2</sup> ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج3، ص438.

<sup>3</sup> الذهبي، المصدر السابق، ج19، ص540-541.

## الفصل الثالث:

### الأفق الذهني من الأقدار المكتوبة إلى الأفعال المكسوبة

أولاً: كل شيء بقدر.

1 - أفعال الإنسان مكتوبة.

2 - مسؤولية الإنسان في عقيدة الجبر.

ثانياً: جدل الله والإنسان.

1 - أفعال الإنسان مكسوبة.

2 - مسؤولية الإنسان في عقيدة الكسب.

أضحت مسألة القدر وأفعال الإنسان من المسائل المهمة، فقد استطاعت هذه المسألة أن تفرض وجودها مثيرة جدلاً ونقاشاً واسعاً، فالسلف كانوا يعتبرون أن كل ما كان للعبد من أفعال وما يمارسه من أعمال مكتوبة مقدره من الله عزّ وجلّ، فكل ما يفعله العبد ويشأؤه لا يكون إلاّ ضمن مشيئة الله وقدرته باعتباره المنفرد بخلق أفعال العباد وتقديرها وفقاً لإرادته تعالى وحكمته.

وقد امتدت هذه المسألة لتتنبأ مكانة وأهمية بالغة وتصبح من القضايا الجوهرية ضمن المباحث الكلامية التي أثارها الخلف -الأشاعرة- حيث كان هؤلاء يرون أن الرضوخ للقدر هو فرض لمنطق جبري محض على إرادة الإنسان واستطاعته ومصادرة حريته واختياره في أفعاله، فحاولوا إعطاء مكانة للعبد في أفعاله التي خلقها الله عزّ وجلّ بكسبه لها، وهي النظرية الشهيرة التي عرفت باسم "الكسب الأشعري".

### أولاً - كل شيء بقدر:

وفقاً لمنظور أهل السنة من العلماء والفقهاء فكل ما كان للإنسان من أفعال إضطرارية كانت أم اختيارية مقدره من عند الله عزّ وجلّ بمقادير سابقة، كل ذلك استناداً لما نصّت عليه النصوص القرآنية التي أوضحت مقادير الله تعالى في خلقه، وتبقى نسبة الأفعال للعبد بين إثبات وبين نفي، وهو الذي يبقى للإنسان في ظلّه محكوماً بما قدره الله عزّ وجلّ سائراً في فلك مشيئة وليست له أية سلطة في أفعاله إلاّ بما قدره الله.

### 1 - أفعال الإنسان مكتوبة:

لقد أجمع سلف الأمة وجمهورها في مسألة أفعال العباد من أنها مكتوبة مقدره من عند الله عزّ وجلّ وقد أوضح ابن تيمية -رحمه الله- ذلك الإجماع في قوله: "أنّ أفعال

العباد هي كغيرها من المحدثات مخلوقة مفعولة لله، كما أنّ نفس العبد وسائر صفاته مخلوقة مفعولة لله<sup>1</sup>، ولعل ذلك ما أشار إليه المالكي ابن أبي زيد القيرواني بأنّ كل ما للعبد من أفعال مقدر من الله عزّ وجلّ ونابع عن قضاءه تعالى خير الأمور كانت أم أسوأها<sup>2</sup>.

مما يتوضح لنا الإتفاق المجمل على نسبة أفعال العبد لله عزّ وجلّ ومشيبته تعالى وقدره.

وعليه فكل ما كان يقوم به ويمارسه العبد، وما يتصرف فيه من أفعال سواء كانت طاعة أو معصية، كلّها بقضاءه تعالى وقدره لا تخرج عن مشيبته وإرادته السابقة لأفعال عباده، وانطلاقاً من ذلك يجب التسليم والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره<sup>3</sup> لقوله تعالى: "كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ"<sup>4</sup>، وما نصّ عليه رسوله ﷺ من أن: "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز فالتكذيب به كفر وظلال"<sup>5</sup>.

كما قد نصّت النصوص القرآنية على انفراد الله عزّ وجلّ بخلقه أفعال عباده فمشيبته عمّت خلقه دون استثناء مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>6</sup>.

فلو كان العبد خالفاً لأفعاله وقادراً عليها لكان في غنى عن ربه والاحتياج إليه مما يتوضح لنا أنّ الله عزّ وجلّ هو خالق أعمال العباد والمقدر لآجالهم<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج1، ص119.

<sup>2</sup> ابن أبي زيد القيرواني، إختصار المدونة والمختلطة، مج4، ص539.

<sup>3</sup> ابن عبد البر، البيان والتحصيل، ج17، ص74.

<sup>4</sup> [سورة القمر، الآية49].

<sup>5</sup> أخرجه مالك في باب: النهي عن القول بالقدر، من كتاب: القدر، تحقيق عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1406هـ/1985م، ص898، الحديث رقم: 01.

<sup>6</sup> [سورة نحل، الآية 17].

<sup>7</sup> القاضي عبد الوهاب، المصدر السابق، ص56.

فكل ما كان للعبد وما وقع في حياته من البؤس والشقاء والسعادة والحزن، وكل ما يعترضه من صعوبات أو يسر مقدر الله، وما يثبت هذه الدعوة هو ما كان الأنبياء صلوات الله عليهم يفعلونه من ابتغال، وتضرع له تعالى سائلين إياه السداد والتوفيق لقوله تعالى: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾<sup>1</sup>.

## 2 - مسؤولية الإنسان في عقيدة الجبر:

ومما تقدم أن أفعال الإنسان مخلوقة لله عزّ وجل، والتي أشارت إليها النصوص القرآنية وغيرها من الأدلة، إلا أن معتقد السلف هذا لم يضيق على حرية العبد ويقلل من مكانته، فقد أثبتوا له قدرة واستطاعة للقيام بأفعاله وهذا ما جاء موضحاً في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية من "أنّ العبد فاعلٌ لفعله حقيقة وأنه له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية"<sup>2</sup>، وما زاد ذلك إثباتاً هي تلك الآيات القرآنية التي نصّت على اختيار وإرادة العبد في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾<sup>3</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِذَا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾<sup>4</sup>.

ومما يثبت أن للعبد سلطة على أفعاله وليس مجبراً هو ما وجد به مكلفاً من الله عزّ وجل، من خلال ما أمر به تعالى ونهى عنه، إذ ترك الحرية للعبد وما يختاره من الأعمال التي فيها خير وفائدة له، أو انسياقه وراء ما نهى الله تعالى عنه وما فيه من ضرر، وما يترتب عنه من عقاب<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> [سورة طه، الآية 26].

<sup>2</sup> ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج3، ص11.

<sup>3</sup> [سورة الكهف، الآية 29].

<sup>4</sup> [سورة الإنسان، الآية 03].

<sup>5</sup> ابن تيمية، مجموع فتاوى، ج08، ص107.



إلا أنّ هذه الحرية لم نقل بها مجموعة من الفرق، ومن أهمها فرقة الجبرية هؤلاء الذين نفوا الحرية والإرادة الإنسانية، إذ سلّبت هذه الفرقة من العبد كل ما يثبت له قدرة على التأثير في أفعاله، وجعلته مقيد بالقدرة والمشيئة الإلهية فلا سلطة له ولا اختيار.

ومما يثبت ذلك هي النصوص التي تناقشتها المصادر، لخصت منطق ومنظور أهل الجبر في أفعال الإنسان، فقد وضّح لنا الشهرستاني مقالة الجهم بن صفوان الذي قال: "من أنّ الإنسان ليس يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة، وإنّما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار وإنّما يخلق الله تعالى فيه الإفعال، جسماً يخلق في سائر الجمادات وينسب إليه الإفعال كما ينسب إلى سائر الجمادات كما يقال أثمرت الشجرة، وجرى الماء"<sup>1</sup>.

فقد نفت هذه الفرقة قدرة العبد تماماً وقرّمت من مكانته وأنزلته إلى مستوى الجماد الذي لا يقدر على فعل شيء، فهو مجبر وليس مخيراً والله عزّ وجلّ هو المنفرد بخلق الأفعال وينسبها إليه فقط، وهو لا يستطيع فعل شيء.

وقد صورّ لنا الأشعري هذه الحقيقة بقوله: "كل ما كان للإنسان من أعمال وقيامه بأفعال فقد نسبت إليه مجازاً"<sup>2</sup>.

وقد دافع الجبرية على حجّتهم وإنكارهم لقدرة الإنسان بالاستناد إلى مجموعة من الأدلة النقلية سواء من القرآن الكريم، أو ما أدلّت به السنّة، ضمن الآيات التي تثبت ما قالوه قوله تعالى: ﴿وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾<sup>3</sup>، ومما ورد في السنّة الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ في محاجة موسى لآدم عليهما السلام.

<sup>1</sup> الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص73.

<sup>2</sup> أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1411هـ/1990م، ج1، ص338.

<sup>3</sup> [سورة الأنفال، الآية07].

فقد قال الرسول ﷺ: "إحتج آدم موسى، فقال له: يا آدم أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخطّ لك بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى ثلاثاً"<sup>1</sup>.

فقد استدل الجبرية بقصة خروج آدم عليه السلام من الجنة بعد ما حدث مع إبليس الذي تركه يخالف أوامر الله عزّ وجلّ وتحذيره، بأنّ ذلك قدر مكتوب عليه فتحققت الإرادة والمشية الإلهية ولم يكن آدم أمام ذلك إلاّ مجبراً لا اختيار له.

## ثانياً - جدل الله والإنسان:

لقد خاض الأشاعرة في مسألة أفعال الإنسان هؤلاء الذين أرادوا تنطّي دائرة الجبر وإقصاء قدرات الإنسان باعتباره لا حول ولا قوة له وبقاءه ضمن فلك القدرة الإلهية، من خلال نظرية الكسب الأشعري التي حاولوا من خلالها التوسط بين منكري القدرة والإرادة الإنسانية وبين من حاولوا إعطاء إستقلالية تامة للعبد في خلق أفعاله وحرية التصرف فيها.

### 1 - أفعال الإنسان مكسوبة:

لقد استطاعت الأشعرية أن تخلق مساحة للعبد في أفعاله ضمن إشكالية حاولت من خلالها التوسط بين الجبر المفروض عليه ومصادرة حريته وإرادته، وبين ما كان يراه أصحاب الاعتزال من أنّ العبد خالق لأفعاله حر غير مقيد فكل أفعاله مستقل بها خيرها وشرها<sup>2</sup>، وبذلك فقد أثبتوا لأنفسهم عنى عن الله عزّ وجلّ من خلال انفرادهم بخلق أفعالهم.

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، في كتاب: القدر، في باب: نجاح آدم موسى عند الله، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1433هـ/2002م، ص1639، الحديث رقم: 6614.

<sup>2</sup> الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص39.

وملخص ما كانت تُقرُّ به نظرية الكسب الأشعري هي أن الله خالق لأفعالنا ومخترع لها، وهي كسب لعباده، وبذلك يصبح "الفعل مقدور لله من جهة الإيجاد ومقدورا للعبد من جهة الكسب"<sup>1</sup>، وسمي فعل الإنسان كسبا لأنه وقع له بقدرة محدثة أودعها الله فيه.

وقد استدل الأشعري بما يثبت هذه النظرية في كتابه اللُّمَع الذي بين فيه أن أفعال العباد مخلوقة من عند الله عزّ وجلّ وكسب لعباده حيث لجأ إلى آلية القياس بين الأفعال الإضطرارية التي لا دخل فيها للعبد كالحميّ، والارتعاش، على الأفعال الاختيارية حيث يقول: "أنه ما دام الحركة الإضطرارية خلق الله عزّ وجلّ وليس للعبد دخل فيها وقياس عليها تكون الأفعال الاختيارية مخلوقة لله عزّ وجلّ مكسوبة للعبد، فما حكم به على الاضطرار يحكم به على الاختيار"<sup>2</sup>.

ومما يدلّ على أفعال العبد مكتسبة، ذلك أنه لو كان خالقا لأفعاله لكان عالما بتفاصيلها من زمان ومكان حدوثها<sup>3</sup>، وبالإضافة إلى ذلك أن ممارسته لأفعاله وأعماله تكون صادرة عن إرادة وقناعة، وقوة بدنية التي تساعد على القيام بالفعل ومرجع تلك الإرادة والقدرة هو الله عز وجل<sup>4</sup>.

وبتلك الدلالات فقد ثبت أن المخترع المنفرد بخلق أفعالنا هو الله عزّ وجلّ<sup>5</sup>، فلو كان العبد منفرد بخلقه لأفعاله لجاز أن يُعيد ما خلقه وتشابه عليه ما خلقه<sup>6</sup>، غير أنه قد أثبت

<sup>1</sup> أبو سعيد سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، شرح العقائد السنية، تحقيق أحمد حجازي السقا، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1408هـ/1988م، ص58؛ أبو بكر محمد بن محمد الحسيني الزبيدي المرتضى، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، منشورات مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1414هـ/1994م، ج2، ص09.

<sup>2</sup> أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، اللُّمَع في الردّ على أهل الزيغ والبدع، نشره حمودة غرابية، منشورات مطبعة مصر، القاهرة، 1415هـ/1955م، ص96-97.

<sup>3</sup> التفتازاني، المصدر السابق، ص55.

<sup>4</sup> أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط3، منشورات مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1415هـ/1995م، ص95.

<sup>5</sup> ابن العربي، المتوسط في الاعتقاد، ص270.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص263.

لنا الأفعال المحكمة التي تقع بانتظام وإحكام دلالة على خالقها، وإرادته وحكمته في خلقه وكونه، في حين أنّ العبد تصدر منه أفعال لا يحس بها أحياناً فذلك دليل على انفراد الله عزّ وجلّ بالخلق، وتبقى تلك الأفعال مضافة للعبد على وجه الاكتساب<sup>1</sup>.

وبالإضافة إلى ما نصّت عليه العقول هو ما جاءت به النقول، أقواله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾<sup>2</sup>. فقد وردت دلالة الكسب واضحة باللفظة عينها؛ ومنها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>3</sup>.

## 2 - مسؤولية الإنسان في عقيدة الكسب:

ونتيجة لما ظهرت على ضوء عقيدة الكسب من التوسط بين النفي والاختيار، فقد أدلت بمكانة العبد ونسبت إليه الأفعال على وجه الاكتساب وتبقى مخلوقة لله عزّ وجلّ الذي يودع في عبده قدرة محدثة لاكتساب تلك الأفعال.

وعليه فهذه القدرة المحدثة والتي تتم عن مسؤولية الإنسان وتأثيره في أفعاله قد تضاربت فيها الآراء وكانت محل نقاش وجدل بين تأثيرها وعدم تأثيرها، ومنه فالأشعري ولما كان الكسب "هو وقوع الشيء من المكتسب له بقوة محدثة"<sup>4</sup>، فيرى أنّ هذه الأخيرة لا تأثير لها في أفعاله ولا في ما يجري وراءها من أحداث ووقائع<sup>5</sup>، على الرغم من أنّ تلك القدرة أودعها الله فينا للقيام بالأفعال إلا أنّ ذلك على سبيل الإسناد فقط وليس لها أي تأثير، وإنما المؤثر الوحيد هو قدرة الله الأزلية.

<sup>1</sup> ابن العربي، المتوسط في الاعتقاد، ص 264.

<sup>2</sup> [سورة البقرة، الآية 286].

<sup>3</sup> [سورة الصافات، الآية 96].

<sup>4</sup> الأشعري، اللمع، ص 76.

<sup>5</sup> الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1، ص 184.

وبنفي تأثير القدرة الحادثة يبقى العبد مجرد ميسرّ ومسهل لوقوع الفعل عند سلامة الأدوات والآلات المساعدة على وقوعه، وتبقى القدرة من الله عزّ وجلّ لحدوث الفعل<sup>1</sup>.

فقد نفى تماماً الأشعري تأثير قدرة العبد في الفعل، وهذا ما بدا واضحاً فيمن تبنى الأشعرية من علماء الغرب الإسلامي وتأثر بنظرية الكسب الأشعري، ومن هؤلاء الضرير الذي أقرّ هو الآخر بعدم تأثير القدرة الحادثة في قوله<sup>2</sup>:

وَهَذِهِ الْقُدْرَةُ وَالْمَقْدُورُ      كِلَاهُمَا يُبَدِّعُهُ الْقَدِيرُ.  
فَلَا يُؤْتِرُ إِذَا فِي الْفِعْلِ      حُدُوثُهُ أَوْ حَالَةٌ فِي الْكُلِّ.

إلا أن من جاء بعد أبو الحسن الأشعري من المتكلمين من أمثال الباقلاني، والجويني، فقد تجاوزوا منطق نفي شيخهم أبو الحسن لتأثير القدرة الحادثة، وأقروا بتأثيرها، وذلك ما أشار إليه أبو بكر الباقلاني في قوله: "أنّ الإنسان يعرف من نفسه فرقا بين قيامه وقعوده وكلامه إذا كان واقعا بحسب اختياره وقصده وبين ما يضطر إليه ممّا لا قدرة له عليه من المرض والحركة الفالج غيرها"<sup>3</sup>، وهذا التأثير الذي يثبتته الباقلاني لا يتعلق بذات المقدور-الفعل- بل بصفة زائدة عليه وهو ما عرف في عرف المتكلمين بكونه حسنا أو قبيحا<sup>4</sup>.

وهو نفس الأمر عند أبي المعالي الجويني الذي أثبت وجود قدرة محدثة يختص بها العبد عند القيام بالفعل، فنفي هذه القدرة ووجه تأثيرها يعتبر في الوقت نفسه نفي لهذه

<sup>1</sup> الشهرستاني، نهاية الأقدام في علم الكلام، ص72.

<sup>2</sup> الضرير، المصدر السابق، ص170.

<sup>3</sup> الباقلاني، التمهيد، ص286.

<sup>4</sup> العمري مرزوق، نظرية الكسب عند الأشاعرة جدلية الضرورة والحرية في الفكر الإسلامي، ط1، دار الالكتب العلمية، بيروت، 1430هـ/2009م، ص96.

القدرة من الإنسان<sup>1</sup>، فقد صرّح الجويني بأنّ نفي هذه القدرة هو حكم بعدم وجودها من الأساس حيث أنّ وجودها بدون تأثير كعدمها.

ووجه التأثير عند الجويني يكمن في إيجاد الفعل إلاّ أنّ هذا الإيجاد لا يكون العبد منفردا ومستقلا به<sup>2</sup>، وإنّما وفقا لأقدار قدرها الله عزّ وجلّ وتبقى مشيئة العبد وقدرته وفقا لما شاء الله<sup>3</sup>، لقوله تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾<sup>4</sup>.

ومما يمكن استخلاصه من أنّ مسألة أفعال الإنسان لأهميتها قد طرحت إشكالية معقدة ومهمة وذلك لصلتها الوثيقة بقضية القدر، هذا الذي ترك السلف يحيطون هذه المسألة بمسألة مفادها أنّ كلّ شيء بقدرٍ فما للعبد من أفعال وما يزاوله من أعمال حفظته الأقدار الإلهية فوقفوا عند ظواهر النصوص القرآنية التي أثبتت هذه المسألة.

وهذه المسألة قد امتدت فتناولها المتكلمون الأشاعرة الذين حاولوا إحداث ثغرة في ما فرض على الإنسان الذي أصبح يدور في فلك القدر الإلهي، حيث حاول صياغة نظرية اصطلح عليها "بنظرية الكسب الأشعري"، وقد استطاعوا من خلالها حمل أفعال الإنسان من قدرٍ مكتوب إلى فعل مكسوب.

<sup>1</sup> الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص85.

<sup>2</sup> الشهرستاني، نهاية الأقدام في علم الكلام، ص72.

<sup>3</sup> ابن التلمساني، المصدر السابق، ص489.

<sup>4</sup> [سورة التكويد، الآية28].

الخاتمة

من خلال ما تمّ معالجته في ثنايا هذا البحث، نكون قد توصلنا إلى عدد من النتائج، والتي نستعرضها كالآتي:

1. إنّ عقيدة الغرب الإسلامي كانت عقيدة سلفية بامتياز، هذه الحقيقة التي تظهر جليا من خلال محافظة أفراد وعلماء المجتمع على تعاليمها والتي من أهمها حظر كل ماله علاقة بالجانب العقدي.

2. عدّ علم الكلام من العلوم العقلية وما بحث فيه على صلة ماسة ووثيقة بالجانب العقدي، السبب الذي جعل مجتمع الغرب الإسلامي -في العهد المرابطي- يحرّم إن صح التعبير الخوض فيه، وهذا ما يمكن أن نفند من خلاله عديد المسلمات التي طرحت، وكان مغزاها أنّ ذمّ الكلام يعود في حد ذاته لما كان يحتاج إليه من آليات ورجاحة عقل، هذا الذي جعل السلف يشنون حملات على هذا العلم أو بصورة أدق عجزهم وعدم قدرتهم على التعااطي مع علم الكلام في بيئة نقلية مالكية.

3. ازدواجية ذمّ الكلام مرجعية مشرقية وامتداد مغربي، وقف حيالها علماء وفقهاء أهل السنّة وقفة جسدت إجماع الأمة بأسرها على حظره.

4. إنّ صرامة الموقف من علم الكلام، لم يمنع ثلّة من الفرق التي كانت تؤسس لنقاش كلامي لا محالة، وتعمل على تحريض الوسط المغربي وذلك بسعيها لإحداث شروحات في الجانب العقدي للمجتمع لتضليله من خلال المواضيع التي أثارته وتكلمت فيها.

5. لما كان الدين الإسلامي والدفاع عنه واجب منذ عهد الصحابة والتابعين الذين لم يدخروا جهدا في سبيل دحض كل ما يمس به وبعقائده، ولذلك فلم يتوان فقهاء وعلماء السنّة إلا أن تاسوا بهؤلاء وحملوا لواء الدفاع عن عقيدتهم ومناهضة عديد الفرق التي أرادت أن تخلق لنفسها مكانا وتروج لافكارها.



6. إنَّ علم الكلام قد وجد قبولا واستحسانا من علماء وفقهاء أهل السنَّة هذا القبول الذي تعدى وتجاوز إلى الكتابة والتأليف، هاتان العمليتان اللتان تم من خلالهما إخراج منتوج كلامي يفوق أو يوازي الكتب الكلامية المشرقية، لاسيما وأن أصحابها قد صقلت مهاراتهم الجدالية على يدي أساتذة ومشايخ لهم من علم الكلام باع طويل.
7. لما كانت الصِّفات الإلهية من أكثر ما أثّرت فيه النقاشات الكلامية ونظرا لتعقيد وصعوبة هاته المباحث، فقد أحاطها السلف بمنظور تسليمي تفويضي، هؤلاء نستطيع أن نقول عنهم أنَّهم قد أنقذوا أنفسهم من زلَّات لا تغفر.
8. إنَّ السَّلف لم يقتصروا ولم يكن في مذهبهم إثبات صفة ونفي الأخرى فقد أثبتوا لله عز وجل ما ورد في كتابه وعلى لسان نبيه من صفات من شأنها أن تضع الله تعالى في صورة الكمال ونفي المماثلة.
9. لم يسلم منطق الإثبات الذي ما لبث أن وجَّهت إليه سهام النقد والذين وضعتهم في صورة من لا يعلم معانيها، وأخرى أقرت بأن السَّلف قد أثبتوا لله تعالى جسما لامحالة، إلَّا أنَّ ما كشفته لنا المصادر بالأدلة القطعية والبراهين القوية علم هؤلاء بالصِّفات، وإنَّما تعود الأسباب إلى خشية مثل هذه الأبواب التي يتوه فيها من يفهم ومن لم يفهم وليس لهم فيها بفائدة.
10. إنَّ التَّنزيه لله عزوجل عن كل ما يثبت له خصائص جسمية قاعدة من قواعد الأشعرية وعلمائها الذين تأولوا آيات القرآن والأحاديث النبوية خشية الوقوع في التشبيه.
11. يتبين لنا من خلال جهود علماء الكلام الأشعري أنَّهم أدخلوا منطقا جديداً أصطلح عليه في عرف المتكلمين "بالنظر والاستدلال" وإقحامهم العقل في الأمور الإلهية، وبالتالي ساهموا في الإنتقال بالأفق الذهني من الوقوف عند حدود النصِّ القرآني إلى الإستدلال، بالجواهر والإعراض التي اختلطت أحيانا بتعاليم فلسفية مجردة.

12. إنَّ منطق التأويل لم يكن بمنأى عن انتقادات شرسة التي رأت في هذا النهج الجديد تعطيلاً لصفات الله عز وجل، نظراً لما تمّ حملها على غير ما تبدو عليه في ظواهرها، كما عدت أدلتهم غير برهانية وغير مقنعة.

13. إنَّ منطق السلف في عدم الخوض والتعامل مع كل ماله علاقة بالجانب العقدي لم يقتصر على الصفات فحسب، وإنما امتد ذلك إلى أفعال الإنسان هذه المسألة التي اسدل الستار على النقاش فيها باعتبار أنّ كل ما للعبد من أعمال وأقوال مقدره من عنده تعالى لا جدال فيها.

14. إنه وعلى الرغم من جعل أفعال الإنسان رهينة القدر الإلهي إلا أنّ السلف لم يوجبوا مسؤولية العبد في أفعاله.

15. من خلال ما تمّ عرضه أنّ هناك عديد الفرق التي أدلت بمقالاتها في مسألة أفعال العبد هذه المسألة التي ترواحت بين مناظير مختلفة وأقصاها وصلت إلى إقصاء تام لحرية الإنسان وإرادته حيث أصبح الإنسان مثل الآلة تودع فيه الأفعال ويبقى الله المنفرد بها.

16. لم يقف الأشاعرة موقف المتفرج إزاء هذه المسألة وإهدار مكانة الإنسان وتأثيره في أفعاله، وإحدثوا بذلك نقلة نوعية في هذه المسألة التي استطاعت التخفيف من حدة الجبر وذلك بصياغتهم نظرية عرفت "بالكسب الأشعري".

17. تضارب وتعدّد رؤى المتكلمين الأشاعرة حول تأثير قدرة العبد في أفعاله بين مثبت وناق لها، إذ مثل شيخهم الأشعري منظور النفي، وما كشفته لنا النصوص من أنّ كل من جاء من بعده أقرّوا بتأثيرها.

وكأي دراسة من الدراسات ومهما بلغنا فيها من الكشف عن خفايا وحقائق، إلا أنّ الموضوع يحتاج إلى أن تسلط الأضواء على جزئيات التي تعد حلقة مكملة له والتي تثيرها تساؤلات أخذت مسألة الصفات حصّة الأسد في المباحث الكلامية التي أثارها

المتكلمون، وبناء على هذا اقتصر علم الكلام في الغرب الإسلامي على مسألة الصفات الإلهية أم أنها تعدتها إلى مسائل أخرى يمكن الكشف عنها؟

على غرار مطالعتنا للمدونة المصدرية صادفتنا مجموعة من الحقائق التي كشفت لنا عن تراجع العديد من المتكلمين المشاركة عن علم الكلام، فيما تبقى الإشكالية مطروحة حول علماء الكلام المغربي هل نحى هؤلاء نفس منحى المشاركة؟

الوراقفة

- القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم).

## أولا - المحررات باللغة العربية:

### I - المصادر:

### 2 - المطبوعة:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير الجرزي (ت630ه/1233م)، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407ه/1987م.
- الإشبيلي، أبو عبد الله محمد بن خليل (ت717ه/1317م)، شرح مرشدة ابن تومرت، تحقيق يوسف إحنانة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1413ه/1993م.
- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل اليماني البصري (ت324ه/936م)، رسالة استحسان للخوض في علم الكلام، نشره محمد الولي، ط1، دار المشاريع للطباعة والنشر، بيروت، 1415ه/1995م.
- اللُّمع في الردّ على أهل الزيغ والبدع، نشره حمودة غرابة، منشورات مطبعة مصر، القاهرة، 1415ه/1955م.
- مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلّين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1411ه/1990م.
- الإيجي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد (ت756ه/1356م)، المواقف في الكلام، دار سعد الدين، دمشق، 1420ه/1999م.
- الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف التجيبي (ت474ه/1081م)، النصيحة الولدية - وصية أبي الوليد الباجي لولديه-، تحقيق إبراهيم يا حسب عبد المجيد، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1421ه/2000م.

- الباقلائي، أبو بكر محمد الطيب (ت403/هـ1013م)،  
-الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق الكوثري محمد بن زاهد حسن، ط2، منشورات المكتبة الأزهرية، 1421هـ/2000م.  
-التمهيد، نشره الأب ريشاد ويوسف مكاوئي السيوعي، منشورات مكتبة الشرقية، بيروت، 1376هـ/1957م.  
-البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت256هـ/870م)، الجامع الصحيح، ط1، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1436هـ/2002م.  
-ابن بشكوال، أبو القاسم بن خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1182م)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1431هـ/2010م.  
-البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي (ت841هـ/1438م)، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق محمد الجيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1423هـ/2002م.  
-البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء (ت516هـ/1122م)، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط2، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، 1403هـ/1983م.  
-التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت628هـ/1230م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1417هـ/1997م.  
-التفتازاني، أبو سعيد سعد الدين مسعود بن عمر (ت791هـ/1389م)، شرح العقائد السنوية، تحقيق أحمد حجازي السقا، منشورات مكتبة الأزهرية، القاهرة، 1408هـ/1988م.  
-ابن التلمساني، أبو محمد شرف الدين عبد الله بن محمد (ت658هـ/1259م)، شرح معالم أصول الدين لفخر الدين الرازي، تحقيق نزار حمادي، ط1، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، 1431هـ/2010م.

-التبكتي، أبو العباس أحمد بابا الصنهاجي الماسي (ت1036هـ/1627م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1398هـ/1989م.

-ابن تيمية، أبو العباس لقي الدين أحمد بن عبد الحلیم (ت1328هـ/728م)،

-درع تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، ط2، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1411هـ/1991م.

-مجموع فتاوى، تحقيق بن قاسم عبد الرحمن بن محمد، منشورات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 1464هـ/2003م.

-الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الطائي (ت1058هـ/478م)، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق محمد يوسف وعلي عبد المنعم عبد المجيد، منشورات مكتبة الخانجي، مصر، 1369هـ/1950م.

-ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الظاهري (ت1064هـ/456م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر و عميرة عبد الرحمن، ط1، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/1996م.

-ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق (ت923هـ/311م)، التوحيد، تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، ط1، دار الرشد للنشر والتوزيع، السعودية، 1408هـ/1988م.

-ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت1405هـ/808م)،

-العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق شحادة وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ/2000م.

-اللباب المحصل في أصول الدين، تحقيق عباس محمد حسن سليمان، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1416هـ/1996م.

-المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادى، بيت العلوم والفنون والآداب، الدار البيضاء، 1425هـ/2005م.

-ابن خمير، أبو الحسن علي بن محمد السبتي (ت1217/هـ614م)، مقدمات المرشد إلى علم العقائد، تحقيق جمال علال البختي، ط1، منشورات مطبعة الخليج العربي، تطوات، 1425هـ/2004م.

-أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت275هـ/890م)، المراسيل، تحقيق عبد العزيز السيروان، ط1، دار القلم، بيروت، 1406هـ/1986م.

-الداودي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي المصري (ت945هـ/1538)، طبقات المفسرين، نسق وراجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ/1983م.

-الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد التركماني الدمشقي (ت748هـ/1348م)،

-سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط1، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ/1984م.

-مختصر العلو للعلي الغفار، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، منشورات الكتب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م.

-ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت520هـ/1112م)،

-البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق أحمد الحبابي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م.

-فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار التليلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/1987م.

-الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة مع مقدمة تحليلية وشروح لمحمد عابد الجابري، ط1، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1418هـ/مارس1998م.

-مسائل ابن رشد، تحقيق محمد الجيب التحكاني، ط2، دار الجيل، بيروت، 1414هـ/1993م.



-المقدمات الممهّدة لبيان ما اقتضته رسوم المدوّنة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، تحقيق محمد حجّي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م.

-الزبيدي، أبو بكر محمد بن محمد الحسيني المرتضى (ت1205هـ/1790م)، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، منشورات مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1414هـ/1994م.

-الزجالي، أبو يحيى عبد الله بن أحمد القرطبي (ت694هـ/1295م)، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق بن شريفة محمد، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، فاس، 1394هـ/1975م.

-الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (حي سنة894هـ/1489م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط2، منشورات المكتبة العتيقة، تونس، 1306هـ/1966م.

-ابن أبي زيد القيرواني، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت386هـ/996م)،

-اختصار المدوّنة والمختلطة باستيعاب المسائل واختصار اللفظ في طلب المعنى وطرح السؤال وإسناد الآثار وكثير من الحجاج التكرار، تحقيق أحمد بن عبد الكريم نجيب، ط1، منشورات مركز نجيبوية للمخطوطات وخدمة التراث، الدار البيضاء، 1434هـ/2013م.

-الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، تحقيق محمد أبو الأجنان، ط2، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، 1403هـ/1983م.

-الرسالة الفقهية، تحقيق حمو الهادي وأبو الأجنان محمد، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1417هـ/1997م.

-النوادر والزيادات على ما في المدوّنة من غيرها من الأمهات، تحقيق محمد حجّي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1419هـ/1999م.

-السكوني، أبو علي عمر بن خليل الإشبيلي (ت1317ه/717م)، المختار في كتب لحن العامة والخاصة في المعتقدات، ط1، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1426ه/2005م.

-السلالجي، أبو عمرو عثمان (ت574ه/1178)، العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية، تحقيق نزار حمادي، ط1، منشورات وزارة المعارف، بيروت، 1429ه/2009م.

-السلالوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت1315ه/1897م)، الاستقصاء لدول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1373ه/1954م.

-الصابوني، أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن (ت494ه/1057م)، عقيدة السلف وأصحاب الحديث، تحقيق أبو أيمن المنصوري، ط1، دار المنهاج، مصر، 1423ه/2003م.

-الصفدي، أبو الصفا خليل بن أيبك (ت764ه/1363م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط ومصطفى تزكي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420ه/2000م.

-الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى اللورقي (ت599ه/1203م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410ه/1989م.

-الضرير، أبو الحجاج يوسف بن موسى (ت520ه/1126م)، التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد، تحقيق سمير فويع وآخران، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1435ه/2014م.

-ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري (ت463ه/1071م)،

-التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق عبد الإله بن عبد الصديق، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، المغرب، 1399ه/1979م.

-جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي روايته وحمله، تحقيق أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، 1114ه/1994م.

- عبد الواحد المراكشي، أبو محمد بن علي التميمي (ت 674هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، نشره صلاح الدين الهواري، ط1، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ/2006م.

- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي (ت 543هـ/1148م)،

- الأمد الأقصى، تحقيق عبد الله التوراتي وعروبي أحمد، ط1، دار الحديث الكنانية، المغرب، 1436هـ/2015م.

- المتوسط في الاعتقاد والردّ على من خالف السنة من ذوي البدع والإلحاد، ط1، دار الحديث الكنانية، المغرب، 1436هـ/2015م.

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين الدمشقي (ت 571هـ/1175م)، تبين كذب المفتري في ما نسب للإمام أبي الحسن الأشعري، نشره القدسي، منشورات مطبعة التوفيق، دمشق، 1347هـ/1923م.

- العقباني، أبو عثمان سعيد بن محمد بن أحمد التلمساني (ت 811هـ/1467م)، شرح العقيدة البرهانية، تحقيق نزار حمادي، ط1، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، 1429هـ/2008م.

- عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544هـ/1149م)،

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط2، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1403هـ/1983م.

- الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ/1982م.

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ/1112م)،

- إحياء علوم الدين، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1426هـ/2005م.

- إجماع العوام عن علم الكلام، ط1، منشورات مكتبة السراج، إسطنبول، 1438هـ/2017م.

- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، تحقيق محمود بيجو، ط1، مطبعة الحلبوني، 1413هـ/1993م.
- مجموعة رسائله، نشرها أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ/1988م.
- القاضي عبد الوهاب، أبو محمد علي بن نصر البغدادي (ت466هـ/1073م)، شرح عقيدة الإمام مالك الصغير أبو عبد الله بن أبي زيد القيرواني، تحقيق أبو الفضل بدر العمراني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423هـ/2002م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري (ت276هـ/889م)، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، نشره عمر بن محمود أبو عمر، ط1، دار الراجعية للنشر والتوزيع، الرياض، 1416هـ/1991م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت671هـ/1272م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق التركي عبد الله بن المحسن، ط1، منشورات مؤسسة الرسالة، 1427هـ/2006م.
- ابن القطان، أبو محمد حسن بن علي الكتامي (حي سنة650هـ/1252م)، نظم الجمان لترتيبها سلف من أخبار، تحقيق محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1410هـ/1990م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي الفراري (ت821هـ/1476م)، صبح الإعشى، منشورات المطبعة الأميرية، القاهرة، 1339هـ/1915م.
- الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى (ت634هـ/1236م)، نكت الأمثال ونفثة السحر الحلال، تحقيق الكردي علي إبراهيم، ط1، دار سعد الدين، دمشق، 1416هـ/1995م.
- ليون الإفريقي، الحسن بن محمد الوزان (ت1554م)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأنصر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1404هـ/1983م.
- مالك الإمام، أبو عبد الله بن أنس الأصبحي الحميري (ت179هـ/795م)، الموطأ، تحقيق عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1406هـ/1985م.

- المرادي، أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي (ت489هـ/1096م)، العقيدة، تحقيق جمال  
علال بختي، ط1، دار الأمان للنشر والتوزيع، المغرب، 1436هـ/2012م.
- مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ/875م)، الصحيح، تحقيق  
مركز البحوث وتقنية المعلومات، ط1، دار التأصيل، مصر، 1435هـ/2014م.
- المقدسي، أبو محمد عبد الله بن قدامة (ت620هـ/1223م)،  
-ذمّ التأويل، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، ط1، دار الفتح للطباعة والنشر، الشارقة،  
1414هـ/1995م.
- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط3،  
منشورات مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1413هـ/1995م.
- الماللي، أبو عبد الله محمد بن عمر التلمساني (كان حيا سنة 897هـ/1491م)، شرح  
معالم أصول الدين لفخر الدين الرازي، تحقيق نزار حمادي، ط1، دار الفتح للدراسات  
والنشر، الأردن، 1431هـ/2010م.
- الملزوزي، أبو فارس عبد العزيز بن عبد الرحمن (ت697هـ/1298م)، نظم السلوك في  
الأنبياء والخلفاء والملوك، الرباط، 1382هـ/1963م.
- الملطي، أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن (ت377هـ/987م)، التنبيه والردّ على  
الفلاسفة في علم الأصول، تحقيق محمود حسين فوقية، دار الأنصار للتوزيع، ط1،  
القاهرة، 1397هـ/1977م.
- الهروي، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن مت الأنصاري  
(ت481هـ/1089م)، ذمّ الكلام وأهله، تحقيق أبو جابر عبد الله بن محمد بن عثمان  
الأنصاري، منشورات مكتبة الغرباء الأثرية للنشر، 1419هـ/1998م.

## II - المراجع:

## 1 - الكتب:

- إحنانة، يوسف، تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ط1، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 1427هـ/2007م.

- التوراتي، عبد الله، مقدمة تحقيق كتاب المتوسط في الاعتقاد والردّ على من خالف السنّة من ذوي البدع والإلحاد، ط1، دار الحديث الكنانية، المغرب، 1436هـ/2015م.

- أبو زهرة، محمد، تاريخ الذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد والمذاهب الفقهية، بيروت، 1408هـ/1988م.

- سالم، أحمد محمد، نقد الفقهاء لعلم الكلام بين حراسة العقيدة وحركة التاريخ، ط1، دار رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة، 1428هـ/2008م.

- صبحي، أحمد محمود، في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين (الأشاعرة)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ/1985م.

- مرزوق، العمري، نظرية الكسب عند الأشاعرة جدلية الضرورة والحرية في الفكر الإسلامي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1430هـ/2009م.

- المغراوي، محمد، "تطور المذهب الأشعري بالمغرب"؛ ضمن كتاب جماعي التاريخ والفقهاء، تنسيق محمد حجي، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1423هـ/2002م.

- النجار، عبد المجيد، المهدي بن تومرت حياته وآراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1403هـ/1983م.

## 2 - الدوريات:

- البختي، جمال علال، "الموقف من علم الكلام في المغرب والأندلس خلال القرنين 5 و6 موازنة علمية بين موقفين ابن عبد البر الأندلسي وابن خمير السبتي"، مجلة الإبانة، تطوان، ع2-3/1435هـ/2014م.

-عكاك، عبد الغني، "علم الكلام وسؤال المشروعية"، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجزائر، ع28/1438هـ/2017م.

-مزازي توفيق، عبد الصمد، "أثر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي"،

-Uluslararası İmam Es'arive Es'arilik sempozyumu Bildirileri(21-23 Eylül 2014).

-الوردي، لطيفة، موقف فقهاء المغرب من علم الكلام إلى حدود العصر المرابطي، مجلة الإبانة، تطوان، ع2-9/1435هـ/2014م.

### 3 - الملتقيات:

- بن حمادي، عمر، "تساؤلات حول الأشاعرة بالمغرب الإسلامي في القرن الخامس الهجري -علاقتهم بالمرابطين وتواجههم بالأندلس-"، ضمن أعمال الندوة الدولية الأولى، "من أعلام الغرب الإسلامي أبو الوليد الباجي وأبو الحسن اللخمي"، المنعقد بجامعة الزيتونة، بتاريخ 22-23 أكتوبر 2014م، تنسيق نجم الدين الهنتاتي، منشورات المعهد العالي للحضارة الإسلامية، تونس، 1436هـ/2015م.

# الكشافات

- 01 - كشاف الآيات القرآنية
- 02 - كشاف الأحاديث النبوية
- 03 - كشاف الأبيات الشعرية
- 04 - كشاف الأعلام البشرية
- 05 - كشاف المصنفات العلمية
- 06 - كشاف الاصطلاحات العلمية



## 01 - كشاف الآيات القرآنية

الصفحة	السورة	رقمها	الآية
53	البقرة	286	﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾
35	البقرة	210	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾
33	البقرة	115	﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾
36، 35	المائدة	64	﴿وَيَدَاهُ مَبْسُطَتَانِ﴾
50	الأنفال	17	﴿وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾
48	النحل	269	﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾
49	الكهف	29	﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾
49	طه	26، 25	﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾
41	طه	05	﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾
39	طه	46	﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾
32، 31، 37	الشورى	11	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
34	الفرقان	03	﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾
51	الصفافات	96	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾

36	الزمر	67	﴿وَالْخَلْقُ يُومِتُهُ فِي قَبْضَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾
37	فصلت	11	﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دَخَانٌ﴾
40	الذاريات	47	﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾
47	القمر	49	﴿كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾
37	المجادلة	08	﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ﴾
40	الفرقان	03	﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَنِ سَاقٍ﴾
43	الحاقة	17	﴿وَيَحْمِلُ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ﴾
55	التكوير	28	﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾
42	الفجر	22	﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾

## 02 - كشاف الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
41	«أَنَّ رَبَّنَا يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا»
32	«أَيْنَ اللَّهِ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ»
40	«قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ»
51، 50	«كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ»
34	«وَأَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ»
35	«يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى»

## 03 - كشاف الأبيات الشعرية

الصفحة	البحر	شطر البيت الشعري	الروي
23	الهمزج	وَهُوَ أَصْلُ الْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ	التاء
23	الهمزج	اعْلَمْ هَذَاكَ اللَّهُ لِلسَّادِ	الذال
54	المنسرح	وَهَذِهِ الْقُدْرَةُ وَالْمَقْدُورُ	الراء
20	البسيط	عَابَ الْكَلَامِ أَنْاسٌ لَا عُقُولَ لَهُمْ	الراء
20	البسيط	مَا ضَرَّ شَمْسُ الضُّحَى فِي الْأُفُقِ طَالَعَةً	الراء
23	السريع	وَأَمَرَ اللَّهُ بِالْإِعْتِبَارِ	الراء
41	الكامل	قَدْ اسْتَوَى بِبَشَرٍ عَلَى الْعِرَاقِ	القاف
23	السريع	وَأَخَيْرُ مَا يُطَلَبُ بِالذَّلِيلِ	اللام
23	السريع	لِأَنَّهَا تُشْرِفُ بِالْمَعْلُومِ	الميم
23	الهمزج	أَنَا نُرِيدُ بِأَسْوَءِ الدِّينِ	النون

## 04 - كشاف الأعلام البشرية

- ر -	- أ -
ابن رشد: 25-26	الإسفراني: 25
	إسماعيل: 11
- ز -	- ب -
الزجالي: 42	الباقلاني: 6-20-21-54
ابن أبي زيد القيرواني: 47	بشر المريسي: 17
- س -	البرزلي: 14-15
السكوني: 42	أبو بكر المرادي: 22
- ش -	- ت -
الشافعي: 12-17	ابن تيمية: 12-44-47-49
الشهرستاني: 49	
- ص -	- ج -
صبيغ: 12	جهم بن صفوان: 49
	الجويني: 21-54-55
- ط -	- ح -
الطرطوشي: 24	أبو حامد الغزالي: 24-25-37
ابن طلحة: 23	أبو الحسن الأشعري: 17-18-19
- ع -	20-25-50-51
ابن عبد البر: 15	أبو الحجاج يوسف: 23-54
عبد الله بن بسام: 15	
عبد الواحد المراكشي: 13	- خ -
ابن العربي: 21	ابن خلدون: 11-24
	ابن خمير: 24

- م -	ابن عساكر: 18
مالك: 15-17-26-31-33-36	علي بن يوسف: 14-25
مالك بن وهيب: 14	عمر بن الخطاب: 12
المهدي بن تومرت: 13-14-15-	أبو عمران الفاسي: 21
44-24-26	أبو عمرو السلاجي: 24
- هـ -	- ف -
الهروي: 12	أبو الفضل النحوي: 15
- و -	ابن فورك: 20
أبو الوليد الباجي: 21-25	- ق -
	القابسي: 13-21

## 05 - كشاف المصنفات العلمية

عقيدة المرادي: 22،	- أ -
- م -	الإرشاد: 21-24
المتوسط في الاعتقاد: 24	استحسان الخوض في علم الكلام: 16
المرشدة: 24-44	إلجام العوام عن علم الكلام: 25
- ن -	- ت -
النصيحة الولدية: 21	تصحيح النبوة والردّ على البراهمة:
	17
	التمهيد: 20
	التببيه والإرشاد: 23
	- ج -
	جامع بيان العلم وفضله: 15
	- د -
	درء تعارض العقل والنقل: 13
	- ذ -
	ذمّ الكلام وأهله: 12
	- ر -
	الردّ على أهل الأهواء: 17
	رسالة في الردّ على أهل القدر: 17
	- ع -
	العقيدة البرهانية: 24
	عقيدة ابن طلحة: 23

# فهرس المحتوى



## فهرس المحتوى

الإهداء

الشكر والعرفان

المقدمة ..... 10-1

الفصل الأول: الأفق الذهني من إجم العوام إلى إفشاء الكلام ..... 11- 29

أولاً: الإنعام بالحجز عن الكلام ..... 12

1- ذمّ الكلام ..... 12

2- وجوه الاضطرار إلى الخوض في الكلام ..... 18

ثانياً: بسط الكلام في الكلام ..... 20

1- استحسان الكلام ..... 21

2- التحفظ من إذاعة الكلام في وسط العوام ..... 27

الفصل الثاني: الأفق الذهني من الاستواء المعلوم إلى الكيف المفهوم ..... 30- 46

أولاً: التفويض.. مذهب السلف أسلم ..... 31

1- مذهب السلف في الصّفات الإلهية ..... 32

2- منطق الإثبات بين التفويض والتشبيه ..... 37

ثانياً: التأويل.. مذهب الخلف أحكم ..... 38

1- مذهب الخلف في الصّفات الإلهية ..... 39

2- منطق التأويل بين التنزيه والتعطيل ..... 44

الفصل الثالث: الأفق الذهني من الأقدار المكتوبة إلى الأفعال المكتسوبة ..... 47-61

- أولاً: كل شيء بقدر ..... 48
- 1- أفعال الإنسان مكتوبة ..... 48
- 2- مسؤولية الإنسان في عقيدة الجبر ..... 50
- ثانياً: جدل الله والإنسان ..... 52
- 1- أفعال الإنسان مكتسوبة ..... 52
- 2- مسؤولية الإنسان في عقيدة الكسب ..... 54
- الخاتمة ..... 57
- الوراقية ..... 65
- الكشافات ..... 75
- فهرس المحتوى ..... 83